# الرسالة إلى القديسين في

# أفســـس

إنّها تـــاج كتابـــات بـولــس

ج. أرميتاج روبنسون ***J. Armitage Robinson***

هي رسالة بولس من السماء الثالثة

أ. ت. بيرسون ***A. T. Pierson***

## ١ـ المكانة الفريدة بين الأسفار القانونية

إنّ الرســالة إلى القديسـين في أفســس نموذج للرسـائل البولسـيّة. ففيها يبدأ بولس بالتحية ثم ينتقل إلى رفع الشـكر، مُتْبِعًا إيّاه بشــرح بعض التعاليم الأساسـيّة، منتقلاً بعدئذ إلى السـلوك الذي يقتضيـه التعليم، منتهيًا إلى التحيات الختاميّة. ومع أنّها رسالة بكل معنى الكلمة، فهي تبدو كأنّها عظة، بل خدمة عبادة مسيحيّة مع صلوات وتسـبيحات. ويكتب مورهيد *Moorehead* قائلاً: "في هذه الرسـالة ننتقل إلى المقدس بهدوئه وسـكونه... وهنا يسود جوّ السكون والتأمّل والعبادة والسلام".

ومـع أنّ الكثيرين من الشـرّاح يوافقون على تقويم روبنسـون المُقتبس أعلاه، فإنّ بعـض العلماء العصريّين، متخلّين عن ثمانية عشـر أو تسـعة عشـر قرنًا من التعليم المسـيحي، يدّعون أنّ بولس لم يكن هو كاتب الرسالة إلى القديسين في أفسس. ولكن هل يصمد هذا الادّعاء في ضوء الحقائق المتوافرة؟

## ٢ـ الكاتب

إنّ **الدلائل الخارجيّة** التي تُشير إلى مصداقيّة كتابة بولس للرسالة قويّة وثابتة. فما من رسالة بولسيّة أخرى تشهد سيلاً من الاقتباسات المبكّرة والمتواصلة. وتبدأ هذه الشهادات التي تُشير إلى صحّة كتابة بولس للرسالة مع أكليمندس الروماني ثمّ أغناطيوس فبوليكاربوس وهرماس ويتبعهم أكليمندس الإسكندري ثم إيريناوس وهيبوليتوس. وقد أدخل مرقيون هذه الرسالة ضمن "القانون" الذي جمعه، داعيًا إيّاها "الرسالة إلى اللاّودكيّين". ويُثبت القانون الموراتوريانى هذه الرسالة مع الرسائل التي كتبها بولس.

أمّا بالنسبة **للدلائل الداخليّة** فالكاتب يذكر مرتين أنّه بولس (١: ١؛ ٣: ١). وتتشابه محتويات هذه الرسالة إلى حدٍّ ما مع محتويات الرسالة إلى أهل كولوسّي حتى إنّه يُعتقد أن تكون الرسالتان متقاربتين من جهة وقت الكتابة. هذا، ونجد في رسالة أفسس صدى التركيبة البولسيّة النموذجيّة. كما سبقت الإشارة، وصحيح هنا أنّ بولس يُدخل بعض الأفكار الجديدة في هذا السفر؛ لكن لا بدّ أن تكون لكَتَبة الأسفار المقدّسة الحريّة في عمل هذا الأمر دون اتّهامهم بالتزوير، وإلاّ لَعَدَت مهمّتهم في بنيان القدّيسين وتكميلهم صعبة جدًّا!

إنّ اللاّهوتي الألماني المتحرّر آشلايرماخر هو على الأرجح أوّل من رفض نسبة الرسالة إلى بولس الرسول. وقد تبعه في هذا الادّعاء بعض المعاصرين مثل موفات وغودسبيد. ويشير هؤلاء في معرض رفضهم إلى أنّ أسلوب الرسالة ومفرداتها والتعليم "المتقدّم" الذي تحتوي عليه وبعض الحجج الشخصيّة الأخرى هي أمور لا تتوافق مع كتابة بولس للرسالة. إلاّ أنّه يمكن الإجابة عن كل واحدة من هذه الفرضيات بشكل مقنع. وفي ضوء الأدلّة الخارجيّة الساحقة وبناء على ما يراه معظم الشرّاح الذين لا يعترفون فقط بأنّ الرسالة لبولس بل إنها كما قال كولريدج "أكثر كتاباته سماويّة"، يجب اعتبار هذه الرسالة رسالة بولسيّة أصيلة.

## ٣ـ التاريخ

إنّ الرسالة إلى القديسين في أفسس، بالإضافة إلى كلّ من رسائل كولوسي وفيلبي وفليمون، هي من تلك المسمّاة "رسائل السجن". ويختلف الشرّاح في تحديد السجن المقصود (٣: ١؛ ٤: ١) فيها. فبينما يعتقد بعضهم أنّه سجن بولس في قيصريّة مدة سنتين، ويعتقد آخرون أنّه سجنه في أفسس الذي لم تثبت صحّته بعد، تشير أقوى الدلائل إلى أنّ المقصود هو سجن بولس الأوّل في رومية (بُعَيدَ سنة ٦٠م). وقد حمل تيخيكس هذه الرسالة إلى مقاطعة آسيا (٦: ٢١، ٢٢)، كما حمل رسالة كولوسّي أيضًا (٤: ٧ـ ٩). وهذا يفسر لنا التشابه في التعليم المتضمّن في كلتا الرسالتين؛ فالأفكار ذاتها كانت ما تزال حاضرة في ذهن الرسول عندما كتب هاتين الرسالتين.

## ٤ـ الخلفية والمواضيع الرئيسية

أمّا الموضوع الرئيسي في رسالة أفسس فهو ما يُسميه بولس "السرّ". وهو لا يقصد بذلك أمرًا لا يستطيع أحد

شرحه، بل يُشير بالحريّ إلى حقيقة مدهشة لم يسبق لها أن أُعلنت من قبل، وقد أصبحت الآن معروفة.

والحقيقة المجيدة التي تُشكّل الموضوع الرئيسي لرسالة أفسس هي الإعلان أنّ المؤمنين، من اليهود والأمم، هم على السواء واحد في المسيح يسوع. وهم جميعًا أعضاء في الكنيسة التي هي جسد المسيح. وإنّهم، في الوقت الحاضر، مُجلّسون مع المسيح في السماويّات، أو الأماكن السماويّة. أمّا في المستقبل فسيشاركونه في مجده بوصفه الرأسَ الذي هو فوق كلّ شيء.

وهذا السرّ يتواجد في كلّ أصحاح من أصحاحات رسالة أفسس. ففي الأصحاح الأوّل، يرد تحت تسمية «سرّ مشيئته»، وهو يتطلّع إلى الوقت الذي فيه ستُجتمّع في المسيح كل الأشياء، سواء كان ما في السماوات أو ما على الأرض (ع١٠،٩). وسوف يتشارك المؤمنون من اليهود (ع١١، "نحن") مع المؤمنين من الأمم (ع١٣، "أنتم") في أمجاد ذلك اليوم. وسيملكون مع المسيح على كلّ العالم باعتبارهم جسده وملئه (ع٢٢،٢٣).

أمّا الأصحاح الثاني فيصف الطريقة التي بها يحصل اليهود والأمم على الخلاص بواسطة نعمة الله. كما يصف عملية المصالحة التي تمّت بينهم جميعًا وبين الله وفي ما بينهم بعضهم مع بعض: كيف أصبحوا إنسانًا واحدًا جديدًا باتّحادهم مع المسيح. ويصف أيضًا كيف يشكّلون هيكلاً مقدسًا مسكنًا لله بالروح القدس.

هذا ويعطينا الأصحاح الثالث أوفى شرح لموضوع «السرّ». ففي هذا الفصل يُعرّف السر بأنّه «سرّ المسيح» (ع٤)، أي المسيح الرأس، والمؤمنون جسده. وفي هذا الجسد، نرى المؤمنين من الأمم شركاء في الميراث وشركاء في العضويّة وشركاء في موعد الله (ع٦).

ويشدّد الأصحاح الرابع على وحدة الجسد ومخطّط الله لنموه بحيث يبلغ الكمال (ع١- ١٦).

أمّا في الأصحاح الخامس، فيُسمّي السرّ بـ«سرّ المسيح والكنيسة» (ع٣٢). فالعلاقة بين المسيح والكنيسة هي مثال العلاقة بين الزوج المؤمن والزوجة المؤمنة.

أخيرًا يتحدّث بولس في الأصحاح السادس عن «سرّ الإنجيل» الذي من أجله كان سفيرًا في سلاسل (ع١٩، ٢٠).

لنحاول أن نتخيّل مدى التأثير الذي كان لهذه الرسالة في المؤمنين الأمميّين الذين أُرسلت إليهم. فقد أدركوا للمرّة الأولى أنّهم يتساوون مع اليهود في الامتيازات، وليس فقط على مستوى الخلاص بالنعمة. فمكانتهم أمام الله ليست أقلّ شأنًا من تلك التي لليهود بأيّ شكل من الأشكال، وقد عُيّن لهم أن يملكوا مع المسيح في عرشه بوصفهم جسده وعروسه التي تشاركه مجد مُلكه الكونيّ.

يوجد أيضًا موضوع آخر مهمّ في رسالة أفسس، وهو «المحبّة» (في اليونانية أجابي *agape*، أي المحبة المُعبَّر عنها من خلال الإرادة). ويبدأ بولس رسالته بهذا المفهوم ويختمها به أيضًا (١: ٤؛ ٦: ٢٤)، وهو يستخدم في رسالة أفسس الفعل والاسم العائدين للمحبّة أكثر من استخدامه إيّاهما في أيّة واحدة من رسائله الأخرى. وقد يُظهر لنا هذا علم الروح القدس المسبق، لأن هذه الكنيسة الكبيرة بقيت في المستقبل، أي بعد حوالي ثلاثين سنة، مطيعة لأمر الربّ في محاربة التعاليم الزائفة، إلاّ أنّ الربّ أخبرها في الرسالة إلى كنيسة أفسس أنّ عنده عليها أنّها تركت محبتها الأولى (رؤ ٢: ٤).

# التقسيم


**١ـ مقام المؤمن في المسيح** (أص١ـ ٣)

أـ التحيّة (١: ١، ٢)

بـ حمد بولس لله من أجل بركات النعمة (١: ٣ـ ١٤)

جـ تشكّرات بولس وصلواته لأجل القديسين (١: ١٥ـ ٢٣)

دـ قوّة الله متجليّة في خلاص الأمم واليهود (٢: ١ـ ١٠)

هـ اتّحاد المؤمنين من اليهود والأمميّين في المسيح (٢: ١١ـ ٢٢)

وـ فقرة اعتراضيّة عن «السرّ» (٣: ١ـ ١٣)

زـ صلاة بولس لأجل القديسين (٣: ١٤ـ ١٩)

حـ تسبحة بولس (٣: ٢٠، ٢١)

**٢ـ سلوك المؤمن في الربّ** (أص٤ـ ٦)

أـ مناشدة في سبيل الوحدة في الشركة المسيحيّة (٤: ١ـ ٦)

بـ برنامج العمل السليم لأعضاء الجسد (٤: ٧ـ ١٦)

جـ مناشدة في سبيل فضائل جديدة (٤: ١٧ـ ٥: ٢١)

دـ مناشدة في سبيل التقوى الشخصيّة في البيت المسيحي (٥: ٢٢ـ ٦: ٩)

هـ تحريضات تتعلّق بالحروب الروحيّة المسيحيّة (٦: ١٠ـ ٢٠)


# التفسير

## ١ـ مقام المؤمن في المسيح (أص١-٣)

### *أ. التحيّة* (١: ١،٢)

**١: ١** اسم «بولس» معناه "صغير". ومع أنّ بولس قد يناسبه هذا الوصف جسديًّا، فإنّ تأثيره الروحي كان عظيمًا جدًّا. وهو يعرّف نفسه بأنّه **رسول يسوع المسيح**. وهذا يعني أنّه كان مفوّضًا إليه من الربّ المُقام إتمام إرساليّة خاصّة. وهي أن يعظ بالإنجيل للأمم ويعلّم الحقّ العظيم المختصّ بالكنيسة (٣: ٨، ٩). وبما أنّ رسالة أفسس تُعالج موضوع الكنيسة، وبما أنّ هذا الحق أُعلن أوّلاً «للرسل والأنبياء» (٣: ٥)، فمن المناسب أن يُعرّف بولس بنفسه أنّه رسول. على أنّ هذا التعريف

لم يكن علامة تكبُّر منه بل كان إشارة للسلطان الذي أُعطي له في الحديث عن موضوع الكنيسة. وتشير العبارة «**بمشيئة الله**» إلى مصدر سلطانه هذا إذ لم يختر بولس عمله كمهنة كما لم يُشر عليه أحد به، بل كان دعوةً إلهيّة له من البداية إلى النهاية (غل ١: ١).

يوجّه بولس هذه الرسالة إلى **القدّيسين الذين في أفسس والمؤمنين في المسيح يسوع**. **والقدّيسون** هم أناس أفرزهم الله لنفسه من العالم. وهذا الاسم ينطبق في العهد الجديد على كلّ المؤمنين المولودين ثانية. وهذه الكلمة تشير إلى مركز المؤمن أو مقامه **في المسيح** أكثر ممّا تشير إلى ما هو عليه في ذاته. فكلّ المؤمنين هم **في المسيح قدّيسون**، مع أنّهم ربّما لا يعيشون دائمًا عيشة قداسة. وعلى سبيل المثل، يدعو بولس الكورنثيين قدّيسين (١كو ١: ٢) مع أنّه يتّضح من الرسالة أنّهم لم يكونوا يعيشون جميعهم حياة القداسة. لكنّ إرادة الله هي أن تتطابق حياتنا العمليّة مع مركزنا في المسيح إذ ينبغي أن يعيش القدّيسون في قداسة.

«**والمؤمنين في المسيح يسوع**»: تصف كلمة «**المؤمنين**» هنا كلّ المسيحيّين الحقيقيّين. وينبغي بالطبع أن يتّصف المؤمنون بالأمانة (ترد كلمة "أمناء" بدل كلمة "مؤمنين" في بعض الترجمات) فيكونوا جديرين بالثقة وبالإمكان الاتّكال عليهم. ولكنّ الفكرة الرئيسيّة هنا هي أنّهم أقرّوا بالمسيح يسوع ربًّا ومخلّصًا وحيدًا لهم.

وقد خلت نسختان قديمتان من العبارة «**في أفسس**» مع أنّ العبارة مثبتة في معظم النسخ الأخرى. ويظنّ علماء كثيرون أنّ هذه الرسالة كُتبت لتُقرأ في الاجتماعات المحليّة للمسيحيّين في أماكن مختلفة، وقد كانت الكنيسة في أفسس أشهرها. ومن الخير أنّ هذا الأمر لا يؤثّر في أصالة الرسالة ولا في قيمتها بالنسبة لنا.

**١: ٢** تأتي تحيّة بولس للقدّيسين بكلمات مشبّعة بالدلالة الروحية، بخلاف معظم تحيّاتنا هذه الأيام.

«**النعمة**» وتعني المعونة الإلهيّة في الحياة اليوميّة. وقد حصل قرّاء بولس على الخلاص بنعمة الله، وهي رحمة لا يستحقّها الهالكون. ولكنّهم يحتاجون الآن إلى قوّة من الله تساعدهم على مواجهة المشاكل والتجارب وآلام الحياة. وهذا ما يرجوه الرسول لهم هنا.

«**السلام**» يعني اطمئنان الروح في مختلف ظروف الحياة، ولا سيّما بعدما اختبر القدّيسون السلام مع الله عند رجوعهم إليه. لكنّهم بحاجة إلى التمتّع بسلام الله في العيش الهادئ المستقرّ الذي لا يعتمد على الظروف، ذلك السلام الناتج من وضع كلّ أمر أمام الله بالصلاة (في ٤: ٦، ٧).

ومن الجدير بالذكر أنّ «**النعمة**» تسبق «**السلام**». وهذا هو الترتيب دائمًا، لأنّنا لا نعرف السلام إلاّ بعد معالجة النعمة لمسألة الخطيّة في حياتنا. ولا يستطيع المؤمن أن يختبر السلام الكامل في ظروف الحياة المتغيّرة كافة إلاّ بواسطة القوّة التي يهبها الله للمؤمن يوميًّا بغير استحقاق.

وكلمة «**النعمة**» في اليونانية هي كلمة مميّزة. فقد استخدم اليهود الكلمة «سلام» (شالوم بالعبرانيّة) للتحيّة. وإذا وضعنا الكلمتين معًا حصلنا على نموذج مُصغّر لبشارة الإنجيل الموجّهة إلى العالم أجمع. وعندما نوحّدهما معًا نحصل على الحقّ المختصّ بالكنيسة في العهد الجديد والذي يشرحه بولس بإسهاب في رسالته إلى القديسين في أفسس، أي اتّحاد اليهودي والأمم في جسد المسيح الواحد.

**نعمة... وسلام من الله أبينا والربّ يسوع المسيح.** لم يتردّد بولس في وضع الربّ يسوع على المستوى عينه مع الله الآب: لقد أكرم الابن تمامًا كما أكرم الآب، وحريٌّ بنا أن نحذو حذوه (يو٥: ٢٣). ولننتبه إلى الترابط المجيد في عبارة **الله أبينا**، فالكلمة «الله» بمفردها تعطي انطباعًا عن الخالق اللامتناهي في السموّ، في حين تُعبِّر الكلمة «أب» عن شخص محب قريب يمكن الاقترابُ إليه. وإذا ربطنا الكلمتين بضمير الجماعة «نا»، نحصل على الحقيقة المجيدة التالية: إنّ الله العالي المتسامي الساكن الأزل هو أب محبّ لكلّ المولودين ثانية بالإيمان بالربّ يسوع.

والاسم الكامل لمخلِّصنا هو **الربّ يسوع المسيح**. فهو سيِّدنا المطلق لكونه ربًّا، وله الحقّ الكامل فينا وفي كلّ ما نمتلك. وبما أنّه يسوع فهو مخلِّصنا من الخطيّة. ولأنّه المسيح، فهو لنا الممسوح من الله نبيًّا وكاهنًا وملكًا. فما أكثر الحقائق التي يكشفها اسمه لكلّ أذن سامعة!

### ب. حمد بولس لله من أجل بركات النعمة (١: ٣-١٤)

**١: ٣** بعد التحيّة الموجزة يرفع بولس صوته بترنيمة تسبيح مجيدة، محلِّقًا في الأجواء الشاهقة للعبادة في العهد الجديد. وهنا نجد فيضان القلب الذي يجلّ الله لأجل بركات نعمته. ويرسم بولس في هذه الأعداد (٣- ١٤) عمل الله في الخلاص منذ الأزل مرورًا بالأزمنة وانتهاءً بالأبديّة المستقبلة، وهذا يشمل بالضرورة الحديث عن سرّ مشيئة الله أنّ المؤمنين، من اليهود والأمم، شركاء في الميراث المجيد.

يدعو بولس في البداية كلّ الذي عرفوا الله لكي يباركوه. وهكذا يبهجون قلبه بالحمد والمحبّة المقترنة بالتعبّد. **والمبارك هو الله، أبو (أو إله وأبو) ربّنا يسوع المسيح.** ففي بعض الأحيان نرى يسوع يخاطب الله بوصفه الله (مت٢٧: ٤٦). ويتحدّث عنه في مرّات أخرى بوصفه الآب (يو١٠: ٣٠). **فالمُبارَك هو** نفسه المبارِك. ونحن نباركه بتسبيحنا كما يباركنا هو ويملأنا فرحًا إذ يغمرنا بغنى نعمته.

لقد **باركنا الله بكلّ بركة روحيّة في السماويات في المسيح.** ولنلاحظ هنا هرم النعمة:

**بركة**

**بركة روحيّة**

**كلّ بركة روحيّة**

**كلّ بركة روحيّة في السماويات**

**كلّ بركة روحيّة في السماويّات في المسيح**

لنلاحظ أوّلاً لا محدوديّة عطاء قلبه ويده، **كلّ بركة**... وأنّ هذه البركات هي **روحيّة**. وأبسط طريقة لتفسير ذلك هو مفارقتها مع بركات الشعب القديم تحت الناموس. ففي العهد القديم كان اليهودي الأمين المطيع يُكافأ بحياة مديدة وعائلة كبيرة ومحاصيل وفيرة وحماية من الأعداء (تث٢٨: ٢-٨). أمّا البركات المسيحيّة فهي على عكس ذلك روحيّة بالتمام، بمعنى أنّها تتعلّق بكنوز غير ماديّة وغير مرئيّة وغير فانية. ومع أنّ قدّيسي العهد القديم تمتّعوا ببعض البركات الروحيّة، فإنّ المسيحيّين اليوم - كما سنرى - يتمتّعون بالبركات السماويّة التي لم تكن معروفة في الأزمنة السابقة.

فبركاتنا تكمن في السماويّات، فبدلاً من البركات الماديّة في الأماكن الأرضيّة لنا بركات روحيّة في الأماكن السماويّة. وتُستخدَم العبارة «في السماويّات» خمس مرّات في الرسالة إلى أفسس:

١: ٣ مركز بركاتنا الروحيّة

١: ٢٠ مشهد جلوس المسيح على العرش حاليًّا.

٢: ٦ مشهد جلوسنا على العرش في المسيح حاليًّا.

٣: ١٠ الموضع الذي تشهد منه الملائكة عن حكمة الله المُعلنة من الكنيسة.

٦: ١٢ المنطقة التي هي مصدر صراعنا الحالي مع الأرواح الشرّيرة.

عندما نضع هذه المقاطع معًا، نجد تعريفًا روحيًّا صحيحًا للسماويّات أو للأماكن السماويّة. وبحسب تعبير أنجر *Unger*: "إنّها دائرة المؤمن في مركزه واختباره نتيجة لاتّحاده مع المسيح بمعموديّة الروح". وتكمن كلّ البركات الروحيّة في المسيح، فهو الذي أحرزها لنا بعمله الكامل في الجلجثة، وهو الذي يؤمّنها لنا الآن. هذا وينحصر كلّ ما يعطيه الله للمؤمن في شخص الربّ يسوع المسيح، وحتى ننال البركات يجب أن نتّحد مع المسيح بالإيمان. ففي اللحظة التي يصبح الإنسان فيها «في المسيح» يغدو مالكًا لكلّ البركات. ويكتب شيفر *Chafer* قائلاً: "إنّ وجود المرء في المسيح، الذي هو نصيب كلّ الذين خلصوا، هو أن يشترك بكلّ ما فعله المسيح وكل ما يتّصف به وما سيكون عليه".

يُعتبر التعبير «في المسيح» واحدًا من التعابير الرئيسيّة في رسالة أفسس، ونرى حقيقتين مترابطتين في العهد الجديد: حقيقة مقام المؤمن وحقيقة سلوكه.

أوّلاً، مقام المؤمن: كلّ إنسان في العالم يكون إمّا «في آدم» وإمّا «في المسيح». والذين هم «في آدم» هم في خطاياهم. لذلك فهم محكومٌ عليهم أمام الله ولا يمكنهم أن يعملوا أي شيء من نفوسهم لينالوا رضى الله، إذ ليس لديهم عند الله ما يطالبونه به. وإن كان لهم أن يأخذوا ما يستحقّون فنصيبهم الهلاك الأبديّ.

أمّا عندما يرجع الإنسان إلى الله ويولَد من جديد فيُصبح في نظر الله غير محكوم عليه كابن آدم، بل بالحري يكون «في المسيح» ويُقبَل على هذا الأساس. ومن المهم أن نميّز ذلك، فالخاطئ لا يُقبَل في ذاته بل بالحري يُقبَل لأنّه في المسيح. وعندما يصير «في المسيح» مكسوًّا بمقبوليته أمام الله، يقف مُبرَّرًا ويحظى برضى الله وقبوله كما قُبِل المسيح، أي إلى الأبد.

وهكذا يتحدّد مقام المؤمن بما هو عليه «في المسيح». أمّا الوجه الآخر للصورة فهو سلوك المؤمن، أي ما هو عليه في ذاته. فمركزه كامل لكنّ سلوكه ناقص. ومشيئة الله هي أن يتوافق مسلكه مع مركزه. ولن يصل هذا إلى الكمال إلاّ عندما يصل إلى السماء. لكنّه ما دام على الأرض ينبغي أن تستمر عمليّة التقديس والنموّ والتشبُّه بالمسيح يومًا فيومًا.

| | |
|---|---|
| المؤمنون كاملون (عب ١٠: ١٤) | ينبغي أن يكون المؤمنون كاملين (مت ٥: ٤٨) |
| المؤمنون ماتوا عن الخطية (رو ٦: ٢) | ينبغي أن يحسب المؤمنون أنفسهم أمواتًا عن الخطية (رو ٦: ١١) |
| المؤمنون أمة مقدسة (١بط ٢: ٩) | ينبغي أن يكون المؤمنون قديسين (١بط ١: ١٥) |

عبارات العمود الأوّل تتعلّق بالمركز أو المقام، أمّا عبارات العمود الثاني فتتعلّق بالمسلك أو الحالة العمليّة.

هذا، وتُقسّم رسالة بولس إلى أفسس قسمين يوازيان هذه الحقيقة. الفصول ١ـ ٣: مقامُنا، أي ما نحن عليه في المسيح. والفصول ٤ـ ٦: سلوكنا، أي ما ينبغي أن نكون عليه. ويتعلّق القسم الأوّل بالتعليم والثاني يتعلّق بالواجب. وغالبًا ما يوصف مركزنا في الأصحاحات الأولى بعبارات كهذه: «في المسيح»، «في المسيح يسوع»، «فيه»، «الذي فيه»، وتستخدم العبارة «في الربّ» في الفصول الثلاثة الأخيرة لتُعبّر عن مسئولية المؤمن نحو المسيح باعتباره ربًّا. وحسنًا قال أحدهم "إنّ القسم الأوّل من الرسالة يصوّر المؤمن في السماويّات في المسيح، فيما يصوّره القسم الثاني في المطبخ والمعمل...".

ونحن الآن على استعداد للتأمّل في بعض البركات الروحيّة في السماويّات التي صارت لنا في المسيح.

**١: ٤** أوّل البركات هو ما يُعرّف بالاختيار. **كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قدّيسين وبلا لوم قدّامه في المحبّة.**

لنلاحظ أوّلاً العنصر الإيجابي في الاختيار في الكلمة **اختارنا**. ثم هناك ما يتعلّق بالمقام من هذه الحقيقة، **فيه**: ففي شخص الربّ يسوع وعمله يتمم الله كلّ مقاصده من جهة شعبه. ويُشار إلى وقت اختيار الله بالتّعبير «**قبل تأسيس العالم**» والهدف من ذلك أن نكون **قدّيسين وبلا لوم قدّامه في المحبّة**. ولا يمكننا أن نُدرك هذا الهدف كليًّا حتى نصبح معه في السماء (١يو ٣: ٢)، ولكن ينبغي أن يستمرّ العمل بموجبه هنا في حياتنا على الأرض.

صلاة: يا رب اجعلني قدّيسًا الآن لأنّ هذا هو قصدك النهائي من أجلي، آمين.

## الاختيار الإلهي

يُثير تعليما لا ختيا ر صعو با تبا ر ز ة أما م ا لفكر ا لبشـر ي ، لذ لكينبغيأ ننتأ مامليًا في مايعلّمهالكتابالمقـدس– أولايعلّمه-عـن هذاالموضوع.

أ وّ لاً ؛ يعلّما لكتا بأ نّا للهيختا ر أ نا سًـا للخلاص ( ٢تس ٢: ١٣ ) . و يخاطبا لمؤ منـين بو صفهم « ا لمختا ر ينبمقتضى علمـا لله » ( ١بط ١: ٢) . و يعلّمأ نّبإ مكا نا لنا سأ ن يعر فو ا هلهُممختا ر و نمنخلا لتجا و بهـم معا لإ نجيل : فا لذ ينيسـمعو نو يؤ منو نهم المختارون(١تس١:٤-٧).

منا لنا حية ا لأ خر ى ؛ إنّا لكتا بلا يعلّمأ بـدً ا أ نّا للهيختا ر أُ نا سًـا للهلا ك . و حقيقة كو نه يختا ر قو مًا للخلا صلا تفر ضأ نّهيد يـن ا لبا قينبشـكلا عتبا طي . فهو لا يد ينأ بدً ا ا لنا سا لمسـتحقّينللخلا ص ( لا يو جد أ حد ) . لكنّهيخلّصا لذ ينينبغيأ نيد ا نو ا . و عند مـا يصفبو لسـا لمختا ر ينفهو يتحدّ ثعنهم بو صفهم « آ نية ر حمة قد سـبقا للهفأ عدّ ها للمجد » ( ر و ٩: ٢٣ ) . و لكنّهعند ما ينتقـلإ لى ا لها لكينيقو لبكلبسـا طة ، « آ نية غضبمُعدّ ة للهلاك » ( ر و ٩: ٢٢ ) . فاللهيُعدّآنية الر حمـة للمجد و لا يُعدّ ا لنا سـللهلاك ، إ نّما هميفعلو ن ذلكلأنفسهمإذلايؤمنون.

إنّتعليما لا ختيار يؤكّدكو ناللهمُطلَقـا لإر ادة فيأ نيعملما يُسَرّ به . علمًا بأ نّهلا يُسَـر ا لبتّة بعملأ يشي ء ظا لم . فكلّا لنا سـها لكو نلو تُر كو ا وشـأ نهم . أ فلا يحقّللهأ نيُظهِر ر حمته لبعضـهمدو نالآخرين؟

لكنّيو جد جا نبآ خر لهذ ها لحقيقة . فا لكتـا ب ا لذ يبيعلّمعنا لا ختيا ر ا لمطلقهو ذ ا تهيعلـم عنمسئو ليَّة ا لإ نسـا ن . فلا يمكنلأ حد أ ن يسـتخد متعليما لا ختيا ر عذ رً العد مخلا صه . و ا للهيقدّ معر ضًا صا د قًا للخلا صلكلّا لنـا س فيكلّمكا ن (يـو ٣: ١٦، ٢٦؛ ٥: ٢٤؛ر و ١٠: ٩، ١٣) . و يمكنلأ يّإ نسـا نأ نيخلصبا لتو بة عنخطا يا هو ا لإ يما نبا لر بّيسو عا لمسـيح . لذ لكإ نهلكا لإ نسـا نفلأ نّها ختا ر أ نيهلك وليسلأنّاللهير غبفيهلاكه.

و ا لحقيقة هيأ نّا لكتا بذ ا تهيعلمعنا لا ختيـا ر ا لإ لهيو ا لخلا صا لمجّا نيلكلّا لذ ينيقبلو نـه . و كلا التعليمينمو جو د انفيآ يةو ا حـد ة : «كلّ ما يعطينيا لآ بفإ ليَّيُقبل ، و منيُقبلإ لـيّ لاأخر جهخار جًا» (يو ٦: ٣٧). يتحدّ ثا لقسـم الأوّ لمنا لآ ية عنا ختيار اللها لمطلق، و يقـّدم القسمالأخيرفرصةالرَّحمةللجميع.

و هذ ا ا لفكر يطر حصعو بة أ ما ما لعقـل ا لبشـر يّ : كيفيمكنللهأ نيختا ر قو مًا فيحين يُقدّ ما لخلا صمجًّا نًا لكلّا لنا س ؟ إ نَّهذ ا لسـّر با لنسبة لنا ، و ليسبا لنسـبة لله . و منا لحكمة أن نؤ منبا لتعليمينكليهما ؛ لأ نّا لكتا بيتضمنهمـا على ا لسو ا ء . و ا لحقّليسحلاً و سـّطا بين الاختيار الإ لهيو إر ادة الإنسـانا لحرّ ة،بلهو متمثّلفيهذ هو ذ اكمعًا . و يلخّصو . ج . بليكـي *Blaikie* هذ ها لحقيقةبالقول:

> نر ى فيا لكتا با لمقد سا لسـيا د ة ا لإ لهيّة و المسئو ليّة البشريّةو عر ضًا شـا ملاًو حرًا للرَّ حمة . و معاً نّنا لا نسـتطيعأ ننو فّق بينهما بمنطقنا ا لبشـر يفإ نّهينبغيأ نيكو ن لهماكليهمامكانفيأذهاننا.

**١: ٥ البركـة الروحيّة الثانية من كنز نعمة الله هي سبق تعيين الله أو إعدادُه السـالف، وليست هي الاختيار ذاته مـع أنّها متعلّقـة به.** فالاختيـار يصوّر انتقاء الله أناسًـا للخلاص. لكنّ تعيينه السـابق يتعلّق بأمرٍ محدّد، إذ يعني أنّ الله قـد حتم قبل الزمان قبول كلّ الذين سـيخلصون أبناءً في عائلتـه. كان بإمكانه أن يخلّصنا دون أن يتّخذنا أبنـاءً، لكنّه اختار أن يفعل الأمرين معًا. وتربط كثير من الترجمـات الكلمتين الأخيرتين مـن الآية ٤ بالآية ٥ كما يلـي: **إذ في المحبّة سبق فعيّننـا**. وهـذا يذكّرنا بالعطف الفريد الذي دعا الله لأن يعاملنا هكذا بنعمته العظيمة.

ونـرى حقيقـة **التبنّي** المجيـدة في العبـارة «**عيّننا للتّبـني**». وتعني كلمة التّبـني في كتاب العهد الجديد ضـمّ المؤمـن إلى عائلـة الله بصفـة ابـنٍ بالغ لـه كلّ الامتيـازات والمسـئوليّات البنويّـة (غـل٤: ٤-٧). وروح التبنّي يغرس داخل المؤمـن غريزةً روحيّة تخوّله مخاطبة الله بوصفه آبًا سماويًّا (رو ٨: ١٥).

أمّا قبولنا أبناءً فيتمّ **بيسـوع المسـيح**. ولم يكن يمكن أنّ الله يأتي بنا إلى مقامٍ قريب وغالٍ على نفسـه ما دمنا في خطايانـا. لذا أتى الربّ يسـوع إلى الأرض وبموته ودفنه وقيامته حلّ مشـكلة الخطيّة على نحو أرضى الله وسـرّه. وبذبيحتـه الفائقة والتي لا تُقـدّر بثمن على الجلجثة صار ممكنًا أن يقبلنا الله أبناءً على أسـاس يفي بعدل الله أو برّه.

وقد حصل كلّ ذلك **بحسـب مسرّة مشيئته** التي هي الدافع المطلق وراء تعييننا السـابق. وهو الجواب عن السـؤال: لماذا فعل كلّ ذلك؟ لأنّ هذه، بكلّ بساطة، **مسـرّته**. ولم يكن يرضى إلاّ بأن يحاط بأبناء مشـابهين صورة ابنه الوحيد، يكونون معه ومثله إلى الأبد.

**١ : ٦ لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب.** إذ تأمّل بولس في نعمة الله؛ أوّلاً باختياره لنا، وثانيًا بتعييننا سابقًا لنصير أبناءه، يقاطع تأمّله بهذا القرار الذي يبدو هتافًا مفاجئًا وتفسيرًا وحثًّا. إنّه هتاف دهشة مقدّسة بإزاء الأمجاد الفائقة لتلك النعمة. كما أنّه تفسير يبيّن أنّ كلّ معاملات الله الكريمة بنعمته تهدف إلى مجده. ويحقّ له ـ تبارك اسمه ـ التعظيم الأبدي مقابل إحسان كهذا منقطع النظير. لاحظ التعبير **نعمته التي أنعم بها علينا** "أو قبلنا بموجبها قبولاً سخيًّا". فمستقبلو نعمته هم "نحن". وقناة نعمته هي «**في المحبوب**». أخيرًا، هذا القرار هو حثّ، فبولس يقول: "لنمدح الله من أجل نعمته المجيدة! ودعونا نفعل هذا قبل أيّ شيء آخر".

**١ : ٧** عندما نتتبّع المدى المتسامي لخطّة الله من أجل شعبه، نصل إلى حقيقة **الفداء**. وهنا وصف لعمل المسيح الذي به حرّرنا من قيود الخطيّة ومُذنبيّتها وعرّفنا حياة الحريّة. والربّ يسوع هو الفادي (**الذي فيه لنا الفداء**)، ونحن المفديّون، **ودمه** هو ثمن الفدية، ولا شيء غيره ينفع.

**وغفران الخطايا** هو نتيجة مباشرة للفداء، وليس هو الفداء ذاته. فقبل أن يغفر لنا المسيح كان لا بدّ من التكفير عن كلّ خطايانا وهذا ما عمله على الصليب لأجلنا.

والآن لا يلاحقنا العدل

بل تغمرنا المراحم!

أمّا مكيال الغفران فمُعبّر عنه بالكلمات، «**حسب غنى نعمته**». إذا كنّا نستطيع قياس غنى نعمته، لتمكّن من إدراك سعة غفرانه إذ إنّ **نعمته** لا تُقاس **ومغفرته** لا تُحدّ.

**١ : ٨ لقد اختارنا وعيّننا سابقًا وفدانا بالنعمة، مُجزِلاً لنا تلك النعمة بكلّ حكمة وفطنة.** وهذا يعني أنّه بنعمته أشركنا في معرفة خططه ومقاصده. ورغبته أن يكون لنا الفهم والبصيرة النّافذة في الاطّلاع على خططه من نحو الكنيسة والعالم بأسره. لذلك فقد وضع فينا ثقته وكشف لنا عن الهدف العظيم الذي يتحرّك نحوه كلّ التاريخ.

**١ : ٩** هنا يشرح بولس الطريقة الخاصّة التي بها أجزل الله لنا كلّ حكمة وفطنة **إذ عرّفنا بسرّ مشيئته**. وهذا هو موضوع الرسالة الرئيسي: الحقّ المجيد المختصّ بالمسيح والكنيسة. وهذا السرّ لا يحمل معنى الألغاز أو الغموض، بل هو سرّ مقدّس كان محجوبًا في ما مضى لكنّه الآن أُعلِن للقدّيسين. فلقد ابتدأت هذه الخطّة المجيدة بإرادة الله المطلقة بعيدًا عن أي تأثير خارجي، إذ كانت **حسب مسرّته**. أمّا موضوع الخطّة الرئيسي فهو الربّ يسوع المسيح. ويشار إلى ذلك في الخاتمة، **التي قصدها في نفسه** (أو **فيه**) أي في المسيح.

**١ : ١٠** يبتدئ بولس الآن شرحًا أكثر تفصيلاً لسرّ خطّة الله. وهو يُركّز في هذا الأصحاح خصوصًا على الوجه المستقبلي للسرّ. وسيلقي الإصحاحان الثاني والثالث ضوءًا أزيد على الوجه الحالي للسرّ. ويُشار إلى الوقت الذي يصوّره بولس بالتعبير **تدبير ملء الأزمنة** (باليونانية هو *oikonomia*، أي إدارة). ونفهم أنّ هذا يشير إلى الملك الألفي عندما يعود المسيح إلى الأرض ليحكم بوصفه ملك الملوك وربّ الأرباب. فالله عنده خطّة أو نظام للحقبة الأخيرة من تاريخ البشرية على الأرض. والخطّة هي أن **يجمع كلّ شيء في المسيح**. ففي فترة الحكم الألفي سيجمع الله كلّ شيء **في السماء وعلى الأرض** في المسيح. فالمخلّص الذي يُرفض الآن ويُنكر سيصبح عندئذ هو الملك المتفوّق، ربّ الكل وغرض عبادة الكون. وهذا هو هدف الله، أن يجعل المسيح في المُلك، رأسًا على كلّ الأشياء السماويّة والأرضيّة.

ونرى مقدار سيادة المسيح في الكلمات، «كلّ شيء... ما في السماوات وما على الأرض». ويكتب بيليت *Bellet* قائلاً:

> هذا سرّ لم يُعرَّف قطّ من قبل. ففي سفر النبي إشعياء نرى صورة جميلة للأرض الألفيّة. ولكن هل نرى السماوات الألفيّة والمسيح رأسًا عليها؟ هل قال إشعياء إنّ كلّ الأشياء في السماوات وعلى الأرض ستكون تحت رئاسة ابن الإنسان الممجَّد؟

يُستخدَم العدد العاشر أحيانًا لدعم التعليم الخاطئ القائل بخلاص جميع البشر، إذ يُحرَّف ليوحي أنّ كل الأشياء وكلّ الناس ستتصالح مع الله في المسيح ويُصلَح حالُها. إلاّ أنّ هذا المعنى غريب تمامًا عن المقطع. إذ يتكلّم بولس عن السلطة الكونيّة لا عن الخلاص الكوني.

**١: ١١** توجد ميّزة رئيسيّة للسرّ، وهي أنّ المؤمنين من اليهود والمؤمنين من الأمم على السواء لهم نصيب في مخطّط الله العظيم. ويتحدّث بولس عن السرّ بالنسبة إلى المؤمنين من اليهود في العددين ١١، ١٢، وبالنسبة للمؤمنين من الأمم في العدد ١٣، ثمّ يجمعهما معًا في العدد ١٤.

يكتب بولس عن المسيحيّين الذين من أصل يهودي فيقول، **الذي فيه أيضًا نلنا نصيبًا**. فحقّهم في النصيب ليس مبنيًّا على مؤهّلاتهم السابقة بل إنّما هو مبنيّ كليًّا على اتّحادهم بالمسيح. **والنصيب**، أو الميراث، هنا ينتظر الوقت الذي سيُستعلَنون فيه مع جميع المؤمنين الحقيقيّين بوصفهم جسد المسيح وعروس الخروف أمام العالم المنذهل.

لقد عُيِّن هؤلاء المسيحيّون، اليهود أصلاً، وذلك في، الأزل لمركز الامتياز هذا بإرادة الله المطلقة **معيّنين سابقًا حسب قصد الذي يعمل كلّ شيء حسب رأي مشيئته**.

**١: ١٢** وهدف هذا التعيين أن يكونوا **لمدح مجده**. وبعبارة أخرى، إنّهم روائع نعمة الله، مستعرضةً ما يمكن أن يعمله بموادّ خام غير مستحَبّة كهذه، فبالتالي ترد **المجد** له تعالى. يتحدّث الرسول عن نفسه وعن المؤمنين الآخرين من اليهود بقوله: «**نحن الذين سبق رجاؤنا في المسيح**». وهو يفكّر في الأقليّة التقيّة من اليهود الذين تجاوبوا مع البشارة في بداية المسيحيّة. فلقد قُدِّمت الأخبار السارّة لليهود أوّلاً ورفضها معظمهم بشكل صريح؛ ولكنّ الأقليّة التقيّة آمنوا بالربّ يسوع وكان بولس واحدًا منهم.

وسيختلف الأمر عندما يعود المخلِّص إلى الأرض في مجيئه الثاني؛ عندئذ سينظرون إلى الذي طعنوه وينوحون عيه كنائح على وحيد له (زك ١٢: ١٠). «وهكذا سيخلص جميع إسرائيل كما هو مكتوب: سيخرج من صهيون المنقذ ويردّ الفجور عن يعقوب» (رو ١١: ٢٦).

لقد وضع بولس ومعاصروه المسيحيّون ذوو الأصل اليهودي ثقتهم بالمسيّا قبل بقيّة الأمّة، ولذلك يستخدم العبارة «نحن الذين قد سبق رجاؤنا في المسيح». وسيملك هؤلاء الذين قد سبق رجاؤهم معه في الأرض وستكون بقيّة الأمّة رعيّة أرضيّة لمملكته.

**١: ١٣** ينتقل بولس الآن من المؤمنين الذين وُلدوا يهودًا إلى أولئك الذين وُلدوا أممًا، ويشير إلى ذلك بانتقاله من «نحن» إلى «**أنتم**». فهؤلاء المخلَّصون من الوثنية لهم نصيبهم في سرّ مشيئة الله، مثلهم مثل اليهود المهتدين. وهكذا يتتبّع الرسول هنا الخطوات التي بها أقبل الأفسسيّون والأمميّون الآخرون إلى الشركة مع المسيح:

**سمعوا الإنجيل - آمنوا بالمسيح - خُتِموا بروح الموعد القدوس.**

أوّلاً، **لقد سمعوا كلمة الحقّ إنجيل خلاصهم**، وهذا يشير بشكل رئيسي إلى بشارة الخلاص بالإيمان في الربّ يسوع؛ ولكنّه يتضمّن بشكل أوسع جميع تعاليم المسيح والرسل.

فلمّا سمعوا هذه الرسالة أعلنوا تسليم نفوسهم للمسيح بخطوة إيمانٍ حاسمة. فالإيمان غرضه الوحيد الربّ يسوع، **والخلاص** هو في المسيح وحده. وحالما آمنوا خُتِموا **بروح الموعد القدّوس**، وهذا يعني أنّ كل مؤمن حقيقيّ ينال روح الله علامة على انتمائه لله، وعلى أنّه سينعم بحفظ الله إلى الوقت الذي يأخذ فيه جسده الممجّد. ويشير الختم إلى ملكيّة الله للمؤمن وضمانه له تمامًا كما هي الحال في الأمور القانونية. فدمغة الروح القدس الساكن فينا تبيّن أنّنا ملك الله (١كو٦: ١٩، ٢٠)، كما يضمن الروح عينه الحفاظ علينا إلى يوم الفداء (أف ٤: ٣٠).

ويسمّى ختمنا **روح الموعد القدّوس**. فهو أوّلاً، الروح القدوس، وهذا يُعبّر عمّا هو عليه في ذاته. ثمّ إنّه روح **الموعد**، لأنّه موعود به من قِبَل الآب السماوي (يوئ٢: ٢٨؛ أع١: ٤) ومن قِبَل الرب يسوع (يو١٦: ٧). إضافة إلى ذلك فهو يضمن تحقيق كلّ مواعيد الله للمؤمن. وتختم الآية ١٣ أوّل ذكر للثالوث في هذه الرسالة حيث يتكرّر ذكره مرات عديدة: الله الآب (ع٣)، الله الابن (ع٧)، الله الروح (ع١٣).

**١: ١٤** يُغيّر بولس الضمير هنا مرّة أخرى، فالضمير "نحن" في الآيات ١١ و١٢ والضمير "أنتم" في الآية ١٣ يندمجان معًا ليشكّلا ضمير الـ"نا" في الآية ١٤. ويشير الرسول بواسطة هذا الأسلوب الأدبي البارع إلى الموضوع الذي سيشرحه بشكل أكمل في الأصحاحين الثاني والثالث، ألا وهو الاتّحاد بين المؤمنين من اليهود والأمم في كيانٍ عضويّ جديد هو الكنيسة.

أمّا **عربون ميراثنا** فهو الروح القدس. وهذه هي الدفعة الأولى التي تضمن دفع كامل المبلغ لاحقًا. وهي من ذات النوعيّة للدفعة الكاملة، لكنّها لا تتساوى معها في الكميّة. حالما نحصل على الخلاص فإنّ الروح القدس يبتدئ يعلن لنا بعض ما يخصّنا من غنى المسيح. فهو يعطينا أن نتذوّق شيئًا من المجد العتيد. لكن كيف نتيقّن أنّنا سنحصل على الميراث الكامل يومًا ما؟ الروح القدس ذاته هو **عربون** (أو ضمان) الميراث لنا.

وبما أنّه الختم، فهو يضمن أنّنا سنبقى محفوظين حتّى الميراث. ثمّ بما أنّه العربون، فهو يضمن أنّ الميراث سيبقى محفوظًا لنا.

إنّ الروح هو عربون ميراثنا **لفداء المُقتنى**. وهكذا فالعربون يُنبئ بمجيء الفداء الكامل مثلما تنبئ الباكورة بمجيء الغلال الكاملة. وسينتهي دور الروح كعربون عندما يُفدى المقتنى. لكن ماذا يعني بولس بقوله المُقتنى؟

١- قد يعني بهذه الكلمة الميراث الموعود به للقدّيسين. فكلّ ما يملكه الله هو من نصيبنا في المسيح يسوع: فإننا ورثة الله ووارثون مع المسيح (رو٨: ١٧؛ ١كو٣: ٢١-٢٣). لقد تدنّس الكون عند دخول الخطيّة إلى العالم وصار في حاجة إلى المصالحة والتطهير (كو١: ٢٠؛ عب٩: ٢٣). وعندما يرجع المسيح ليملك على الأرض، حينئذ ستتحرر الخليقة التي تئنّ وتُعتق من عبوديّة البطل إلى حرية مجد أولاد الله (رو٨: ١٩- ٢٢).

٢- وقد تشير كلمة «المقتنى» إلى جسد المؤمن. فإنّ فداء أجسادنا ما زال أمرًا مستقبلاً، بخلاص

أرواحنا ونفوسنا التي تمّ فداؤها عند إيماننا. أمّا أنّنا نتألّم ونهرم ونموت فما هي إلاّ حقائق تشير إلى أنّ أجسادنا لم تُفدَ بعد. لكن عندما يعود الربّ لأجلنا (١تس٤: ١٣-١٨)، فإنّ أجسادنا ستتجدّد لتُصبح مشابهة لجسد مجده (في٣: ٢١)؛ عندئذٍ يتمّ فداؤنا الكامل والأبدي (رو٨: ٢٣).

٣- أخيرًا، قد تشير كلمة **المقتنى** إلى الكنيسة بالذات (١بط٢: ٩: «شعبه الخاص»). في هذه الحالة أيضًا يتطلّع فداء الكنيسة إلى الاختطاف المُقبل عندما يرجع المسيح ويُحضر الكنيسة لنفسه، كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن ولا شيء من مثل ذلك (أف٥: ٢٧). ويعتقد بعض محبذي هذا التفسير أنّ **مقتنى** الله هنا قد يضمّ قدّيسي العهد القديم أيضًا.

مهما كانت وجهة النظر التي نقبلها، فإنّ النتيجة النهائية تبقى ذاتها: **لمدح مجده**. فمخطّط الله المجيد من نحو شعبه سيكون عندئذٍ قد وصل إلى كماله المجيد، وسيصبح الله غرض الحمد المستديم. وقد ذكّرنا الرسول بولس ثلاث مرات في هذا الفصل أنّ القصد الرئيسي والنتيجة الحتمية لكلّ أعمال الله هي تعظيمه وتمجيد اسمه:

**لمدح مجد نعمته** (ع٦)، **لنكون لمدح مجده** (ع١٢)، **لمدح مجده** (ع١٤).

### ج. تشكّرات بولس وصلواته لأجل القديسين (١: ١٥-٢٣)

**١: ١٥** لقد استعرض الرسول، في المقطع السابق، الذي يمتدّ من الآية ٣ لغاية الآية ١٤ (وهو جملة واحدة في الأصل اليوناني!) خطّة الله المجيدة من الأزل وإلى الأبد. وقد مرّ على أفكار عميقة تدعو للدهشة والذهول، أفكارٍ مجيدة جدًّا بحيث يُفضي إليهم بما تثقّل به قلبه من صلاة لأجلهم طالبًا لهم الاستنارة الروحيّة لإدراك هذا التعاليم السامية. ورغبته العظمى من نحوهم أن يستطيعوا تقدير الامتيازات المجيدة التي لهم في المسيح والقدرة الفائقة التي أظهرها الله إذ جعل المسيح رأسًا للكنيسة وفوق كلّ الخليقة.

أمّا الكلمة **لذلك** في بداية الآية فترجع بالإشارة إلى كلّ ما عمله الله وما سيعمله لاحقًا لكلّ أعضاء جسد المسيح، بحسب ما ورد في الأعداد ٣-١٤.

**إذ قد سمعت بإيمانكم بالربّ يسوع ومحبّتكم نحو جميع القدّيسين**. عندما تلقّى الرسول هذه المعلومات عن قرّائه تأكّد له أنّهم قد حصلوا على البركات الروحيّة التي سبق الحديث عنها، انقاد للصلاة من أجلهم. **فإيمانهم بالربّ يسوع** أنتج معجزة الخلاص في حياتهم. أمّا **محبّتهم لجميع القديسين** فأظهرت حقيقة التغيّر الذي حصل لهم باهتدائهم.

يشير بعض الشرّاح إلى هذه الآية لبرهنة اعتقادهم أنّ هذه الرسالة لم تُكتب إلى القديسين في أفسس بشكل حصري. فبولس يتكلّم هنا عن سماعه بإيمان قرّائه - كما لو أنّه لم يلتقهم قط، في حين أنّه أمضى على الأقل مدّة ثلاث سنين في أفسس، بحسب أعمال ٢٠: ٣١. لذلك يستنتج هؤلاء الشرّاح أنّ الرسالة أُرسلت إلى عدّة كنائس محليّة كانت أفسس واحدة منها.

ولكن من الخير أنّ الجواب عن هذه المسألة لا يؤثّر في الدروس التي يمكننا أن نتعلّمها من هذه الآية. فعلى سبيل المثل نرى أنّ **الربّ يسوع** هو الغرض الحقيقي للإيمان: **إيمانكم بالربّ يسوع**: لم يخبرنا الرسول أنّ علينا

أن نؤمن بقانون إيمان، ولا بالكنيسة ولا بالمسيحيّين. فالإيمان الخلاصي يجب أن يكون في شخص المسيح المُقام والممجّد عن يمين الله.

أمّا الدرس الثاني لنا فمأخوذ من تعبير **محبّتكم نحو جميع القدّيسين**. فيجب ألاّ تنحصر محبّتنا في الذين نعرفهم من الجماعة التي ننتمي إليها، لكن ينبغي أن تفيض إلى كلّ الذين غُسلوا بدم المسيح، إلى كلّ أهل الإيمان.

هذا، وينحصر الدرس الثالث في الكلمتين **إيمان ومحبة** مجتمعتين. فبعض الناس يدّعون الإيمان لكنّنا لا نلحظ أيّ وجود للمحبّة في حياتهم، فيما آخرون يدّعون المحبّة لكنّهم لا يبالون بضرورة الإيمان بالمسيح. لكنّ المسيحيّة الحقّة تدمج التعليم الصحيح مع الحياة الصحيحة.

**١ : ١٦** لقد دفعت محبّة المؤمنين وإيمانهم بولس لأن يشكر الله من أجلهم ويصلّي لأجلهم بلا انقطاع. ويقول سكروجي *Scroggie* في هذا الموضوع:

> يتعلّق الشكر بالأساس الذي تمّ وضعه، أمّا التضرّع فهو بشأن ما يتمّ بناؤه الآن. فالشكر هو من جهة الأشياء التي تمّ الوصول إليها، فيما يختصّ التضرّع بالتقدّم المستقبلي. الشكر هو من أجل اختبارهم المسيحي الحاضر، فيما التضرّع هو لأجل ما يمكنهم تحقيقه في مقاصد الله لهم.

**١ : ١٧** إنّه لامتياز كبير لنا أن نحصل على هذه اللّمحة السريعة عن حياة الصلاة عند أحد رجال الله (أي بولس). فلدينا في هذه الرسالة محتان كهذه، هنا في الآية الحاضرة وفي ٣: ١٤ـ ٢١. ويصلّي الرسول هنا لأجل الاستنارة الروحيّة، لكنّنا نراه هناك يصلّي لأجل القوّة الروحيّة. هنا يوجّه صلاته نحو الله وهناك يخاطب الآب.

لكن في كلتا الحالتين صلوات بولس هي بلا انقطاع ومحدّدة ومناسبة لحالة المؤمنين الراهنين. والصلاة هنا موجّهة إلى **إله ربّنا يسوع المسيح** الذي هو أبو المجد. وقد تعني عبارة «أبو المجد» أحد الأشياء الثلاثة الآتية:

١ـ أنّ الله هو المصدر والمنبع لكلّ مجد؛

٢ـ أنّه الشخص الذي له كلّ المجد؛

٣ـ أنّه أبو ربنا يسوع المسيح الذي ظهر فيه مجد الله بكماله.

ويستمرّ بولس في الصلاة فيقول **كي يعطيكم... روح الحكمة والإعلان في معرفته**. الروح القدس هو روح الحكمة (إش ١١: ٢)، وروح الإعلان (١كو ٢: ١٠). لكن بما أنّ المؤمنين قد حصلوا على سكنى الروح فيهم، فلا يمكن أن يكون بولس يُصلّي من أجل حصولهم على الروح القدس، لكنّ صلاته هي لكي يعطيهم الله قسطا معيّنًا من الاستنارة بالروح القدس.

هذا ويشير **الإعلان** إلى منح المعرفة للمؤمنين، في حين تتعلّق **الحكمة** بالاستخدام الصحيح لهذه المعرفة في حياتنا. على أنّ الرسول لا يقصد هنا **المعرفة** بشكل عام، بل يفكّر **بمعرفة** خاصّة (باليونانية *epignosis*) لله. فهو يرغب أن يحصل المؤمنون على **معرفة** لله عميقة وروحيّة واختباريّة؛ **معرفة** لا يمكن نوالها من طريق القدرة الفكريّة، إذ ننالها فقط من طريق خدمة الروح بنعمة الله.

ويشرح دايل *Dale* هذا الموضوع فيقول:

> كان لهؤلاء المسيحيّين الأفسسيّين إعلان إلهي في ما مضى، وإلاّ لما كانوا مسيحيّين على الإطلاق. ولكنّ بولس صلّى لكي يجعل الروح القدس الساكن

فيهم دعوتهم أقوى وأوضح وأمتن لكي تُعلَن لهم قوّة الله ومحبّته وعظمته على وجه أكمل. وفي أيّامنا حيث نجد الإنسان يسعى لاكتشافات سريعة في المجالات الفكريّة تكون مذهلة بحيث تتنافس، حتى في أنظار المسيحيّين، مع إعلان الله في المسيح، ربّما توجد حاجة ماسّة لدى الكنيسة كي تصلّي إلى الله ليعطيها «روح حكمة وإعلان». وإذا استجاب الله تلك الصلاة فلن تبهرنا المعرفة التي تتعلّق «بالأمور المرئيّة والوقتيّة»، إذ تفوقها تألُّقًا «الأمورُ الأبديّة وغير المرئيّة».

**١: ١٨** لقد رأينا أنّ الله هو مصدر الإنارة الروحيّة، وذلك من خلال قناة الروح القدس. والغرض الأسمى هو معرفة الله الكاملة. والآن نأتي إلى أعضاء الاستنارة: «**مستنيرة عيون أذهانكم**» (أو «عيونُ قلوبكم» بحسب قراءة أخرى).

يعلّمنا هذا التعبير المجازي أنّ الفهم الصحيح للحقائق الإلهيّة لا يعتمد على قدرات ذكائيّة فذة وإنّما على قلوب طيّعة. وهو يتعلّق بالوجدان مثلما يتعلّق بالفكر. فإعلانات الله تُعطى للذين يحبّونه؛ وهذا يفتح مجالات رائعة أمام كلّ مؤمن لأنّه ربّما ليس لنا جميعًا مستوى عالٍ من الذكاء، لكن بمقدورنا جميعنا أن نكون ذوي قلوب مُحبّة. ثم يفصّل بولس ثلاث نواح معيّنة من المعرفة الإلهيّة التي يتمنّاها للقدّيسين:

**١ـ رجاء دعوته**

**٢ـ غنى مجد ميراثه في القديسين**

**٣ـ عظمة قدرته الفائقة نحونا نحو المؤمنين.**

يدلّ **رجاء دعوته** على المستقبل، وهو يشير إلى المصير النهائي السعيد الذي كان في فكر الله من نحونا عندما دعانا. وهو يتضمّن حقيقة أنّنا سنكون مع المسيح ومثله إلى الأبد، وسنُعلَن للعالم بصفتنا أولاد الله، ونملك مع المسيح بصفتنا عروسه النقيّة. ونحن نرجو ذلك لا كأنّ فيه شكًّا، بل بالحريّ لأنّه الوجه المستقبلي لخلاصنا، ذلك الوجه الذي نصبو إليه.

أمّا البُعد الثاني العظيم الذي ينبغي أن يكتشفه المؤمنون فهو «**غنى مجد ميراثه في القدّيسين**». لاحظ الطريقة التي يجمع بها بولس الكلمات بعضها مع بعض ليظهر مدى العظمة والجلال في الفكرة:

**ميراثه**

**ميراثه في القديسين**

**مجد ميراثه في القديسين**

**غنى مجد ميراثه في القديسين**

ويمكن فهم ذلك بطريقتين لكلّ منهما معنًى مفيد. لذلك سنعرضهما كلتيهما، **فالقدّيسون**، بحسب الطريقة الأولى، **هم ميراث الله**، وهو ينظر إليهم ككنز لا يثمَّن. ويوصف المؤمنون في تيطس ٢: ١٤ وفي بطرس الأولى ٢: ٩ بأنّهم «شعبه الخاص»؛ وهذا يُظهر بالتأكيد نعمة الله التي لا يُعبَّر عنها. فالخطاة المزدَرون المخلَّصون بالمسيح بلا استحقاق، يمكن لهم أن يحتلّوا في قلب الله مركزًا ساميًا كهذا حتى إنّه يعتبرهم «ميراثه».

أمّا وجهة النظر الثانية فهي أنّ «**الميراث**» هو كلّ ما سنرثه نحن المؤمنين. واختصارًا، سيوضع كلّ العالم تحت مُلك المسيح؛ ونحن، عروس المسيح، سنملك معه على العالم كلّه. وإذا كنّا بالحقيقة نُقدِّر غنى نعمته الذي ذخّره من أجلنا فإنّنا نتحوّل عن إغراءات هذا العالم ومباهجه.

١: ١٩ طلبة بولس الثالثة من أجل القدّيسين هي أن يكون لهم تقدير عميق لقدرة الله التي بها يتحقّق كلّ هذا: «**عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين**».

يقول ف.ب. ماير *F. B. Meyer* "إنّها قدرة، إنّها قدرته، إنّها قدرة عظيمة، ولا شيء أقلّ منها يفي بالغرض". إنّها عظمة قدرته الفائقة التي تتجاوز حدود تفكيرنا. هذه هي القوّة التي استخدمها الله في فدائنا والتي يستخدمها في حفظنا والتي سيستخدمها في تمجيدنا.

وقال لويس شايفر *Lewis Chafer*:

> يريد بولس أن يطبع في ذهن المؤمن عظمة القدرة التي يستخدمها الله لأجله لتحقيق كلّ شيء قصَده له حسب عمل اختياره وتعيينه السابق وتبنّيه المطلق.

١: ٢٠ يصف الرسول بعد ذلك أعظم عرض عرفه العالم للقوّة الإلهيّة، وذلك لكي يشدّد على عظمتها. **تلك هي القوّة التي أقامت المسيح من بين الأموات وأجلسته عن يمين الله.** قد يتبادر للذهن أنّ خلق الكون هو أعظم عرض لقوّة الله. أو ربّما نظن أنّ عبور البحر الأحمر المعجزي يُظهر قوّة الله العظيمة؛ إلاّ أنّ العهد الجديد يعلّمنا، على خلاف ذلك، أنّ قيامة المسيح وصعوده تطلّبا أعظم عرض لقوّة الله في التاريخ.

وإذا سألنا «لماذا»، يتبيّن لنا أنّ كلّ قوّات الجحيم تجمّعت لتعطّل مقاصد الله بإبقاء المسيح في القبر، أو بمنعه من الصعود بعد قيامته. لكنّ الله انتصر على كلّ أشكال المقاومة وكانت قيامة المسيح وتمجيده هزيمة ساحقة للشيطان وأجناده، وعرضًا مجيدًا لقدرته الإلهيّة الفائقة. وليس بمقدور أحد أن يصف هذه القوّة تمامًا، لذلك يستعير بولس بعض الكلمات من ألفاظ "فيزياء الحركة" في وصفه للقوة المبذولة من أجلنا «**حسب عمل شدّة قوّته الذي عمله في المسيح إذ أقامه من الأموات**». ويبدو أنّ الكلمات تنوء بثقل الفكرة، ونادرًا ما نحتاج إلى أن نميّز بين الكلمات المختلفة، إنّما يكفينا أن نتعجّب من عظم تلك القوّة ونعبد إلهنا الكليّ القدرة.

يهتف ماير قائلاً:

> لقد كان ارتفاعًا مجيدًا! من قبر الفناء إلى عرش الله الأبدي الذي له وحده عدم الفناء. ومن ظلمة القبر إلى بهاء نور السماء. من هذا العالم الصغير إلى مركز الكون وعاصمته. فافتح مقياس إيمانك وقس هذا اللجّ العميق المتناهي الحدود ثمّ تِه عجبًا بالقوّة التي أجازت الربّ يسوع عبره.

لقد كانت قيامة المسيح أوّل حادثة من نوعها في تاريخ البشريّة بحسب الكتب المقدّسة (١كو١٥: ٢٣). فمع أنّه أُقيم آخرون من الأموات سابقًا، فقد ماتوا ثانيةً. ولكنّ الربّ يسوع كان أوّل من قام بقوّة حياة لا تزول. وبعد قيامة المسيح وصعوده **أجلسه الله عن يمينه في السماويّات.** وتشير العبارة **يمين الله** إلى مركز الامتياز (عب١: ١٣)، والقوّة (مت٢٦: ٦٤)، والتفوّق (عب١: ٣)، والمسرّة (مز١٦: ١١)، والسيادة (١بط٣: ٢٢).

ثمّ إنّ الموضع يوصف أيضًا بالسماويّات؛ ويشير هذا إلى أنّ العبارة تتضمّن مكان سكنى الله. هناك يوجد الرب يسوع حاليًّا بجسد حقيقيّ من لحم وعظام، بجسد ممجّد لا يمكن أن يموت، وحيث هو سنكون نحن عن قريب.

**١ : ٢١ يوصف تمجيد مخلّصنا بأنّه فوق كل رياسة وسلطان وكلّ اسم يسمّى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضًا.** فالربّ يسوع يسمو على كلّ حاكم وسلطة، بشريّة كانت أو ملائكيّة، الآن وإلى الأبد.

في السماويّات طبقات متنوّعة من الكائنات الملائكيّة، بعضها شرّير وبعضها صالح، ولها درجات متنوّعة من القوّة. ويتناسب بعضها، على سبيل المثال، مع المناصب البشريّة كالرئيس والحاكم ورئيس البلدية أو نائب الرئيس... فمهما تعاظم حكمهم وسلطتهم وقوّتهم وسيطرتهم فالمسيح يفوقهم بما لا يقاس.

ويصحّ هذا القول، ليس **في هذا الدهر** فحسب، بل أيضًا **في الدهر الآتي**، أي عندما يملك المسيح فعلاً على الأرض مدّة ألف سنة. عندئذ سيكون المسيح مَلِكًا على كلّ الملوك وربًّا فوق كلّ الأرباب، وسيكون متعاليًا فوق كلّ خليقة الله دون أدنى استثناء.

**١ : ٢٢** إضافة إلى هذا فإنّ الله **قد أخضع كلّ الأشياء المخلوقة تحت قدميه.** وهذا يعني سيطرة المسيح الشاملة ليس على الناس والملائكة فحسب، بل على كلّ ما تبقّى من الخليقة حيّة كانت أو جامدة. ويذكّرنا كاتب الرسالة إلى العبرانيّين أنّه في وقتنا الحاضر لسنا نرى كلّ الأشياء بعد مُخضعة له (عب٢ : ٨). وهذا صحيح، فمع أنّ السلطة المطلقة هي للمسيح، فهو لا يمارسها الآن، فالإنسان مثلاً ما زال يتمرّد عليه وينكره أو يقاومه. لكن الله قضى بأن يحمل ابنه صولجان السلطان الكوني، وهذا أمر أكيد كما لو كان حقيقة راهنة.

والآن يصعب تصديق ما يلي، فصاحب اليد المثقوبة هو الذي سوف يمارس السلطان المطلق على الأكوان كلّها. وهذا الشخص المجيد أعطاه الله **للكنيسة**. وما يقدّمه بولس هنا هو إعلان مذهل يختصّ بسرّ مشيئة الله، فلقد كان يتدرّج خطوةً خطوةً نحو ذروة هذا الإعلان؛ فقد وصف لنا قيامة المسيح وتمجيده وإيلاءه السلطان، بمقدرة تصويريّة كبيرة. وبينما تندهش قلوبنا متأمّلة بالربّ الكليّ المجد نسمع الرسول بولس يقول: "إنّ المسيح الكائن **رأسًا فوق كل شيء** قد أُعطي **للكنيسة** هكذا".

إذا قرأنا هذه الآية دون تمعّن فقد نفهم منها أنّها تقول فقط إنّ المسيح هو رأس الكنيسة. ومع أنّ هذا الأمر صحيح، فالآية تقول أكثر من ذلك بكثير؛ إنّها تقول إنّ **الكنيسة** مرتبطة ارتباطًا عضويًّا حميمًا بذاك الذي دُفع إليه السلطان الكوني.

لقد تعلّمنا في العدد ٢١ أنّ المسيح يسمو فوق **كل المخلوقات** أكانت في السماء أم على الأرض، في هذا الدهر أم في الدهر الآتي. وفي الجزء الأوّل من العدد ٢٢ تعلّمنا أنّ **كل الأشياء** والمخلوقات قد أُخضعت تحت قدميه. والآن نتعلّم أنّ **الكنيسة** مدعوّة دعوةً فريدة لتكون مشتركة معه في سلطانه غير المحدود، إذ ستشاركه في ملكه، وسيخضع باقي الخليقة لحكمه.

**١ : ٢٣** يعلّمنا هذا العدد الأخير من الفصل الأوّل عن مدى وثوق العلاقة بين المسيح والكنيسة. ويعطينا الرسول صورتين مجازيتين لتلك العلاقة: أوّلاً، الكنيسة **جسده**. ثانيًا، هي **ملء الذي يملأ الكلّ في الكلّ**. وما من علاقة أشدّ قربًا من علاقة الرأس بالجسد. فهما واحد في اتحاد حيّ ويسكنهما روح واحد. والكنيسة هي جماعة من الناس مدعوّة خارجًا من العالم خلال الفترة الفاصلة بين يوم الخمسين ويوم الاختطاف، مخلّصة بالنعمة

العجيبة، وقد أُعطي أفرادها امتيازًا خاصًّا في أن يكونوا أعضاء جسد المسيح. وما من فريق آخر من مؤمني أيّ عصرٍ من العصور قد أعطي أو سيُعطى هذا الامتياز.

نأتي الآن إلى الوصف الثاني للكنيسة: «**ملء الذي يملأ الكلّ في الكلّ**». وهذا يعني بكلّ بساطة أنّ الكنيسة تكملة للمسيح الموجود في كلّ مكان في الوقت الواحد عينه. والتكملة هي ما يملأ ويكمّل، وهذا يتضمّن شيئين يكوّنان وحدة تامّة عند اجتماعهما معًا. وكما أنّ الجسد هو تكملة الرأس فكذلك تمامًا الكنيسة هي تكملة المسيح. لكن لئلاّ يظنّ أحد أنّ هذا يتضمّن عدم كمال المسيح أو نقصًا فيه، استدرك بولس قائلاً: «**ملء الذي يملأ الكلّ في الكلّ**»؛ فالربّ يسوع هو نفسه **الذي يملأ الكلّ في الكلّ**. وحاشا له أن يكون محتاجًا لما يكمّله أو يملأ أي نقصٍ يُتوَهّم فيه، إذ هو يملأ الكون ويمدّه بكلّ ما يحتاج إليه.

وهنا نقرّ بأنّ هذا يفوق قدرتنا على الفهم وما نستطيعه فقط هو أن نبدي إعجابنا بسموّ فكر الله وخطّته معترفين بعجزنا عن الإحاطة الكليّة بهما.

### د. *قوّة الله متجلّية في خلاص الأمم واليهود* (٢: ١-١٠)

**٢: ١** يجب ألاّ يقودنا تقسيم الأصحاحات إلى التغافل عن الترابط الحيوي الموجود بين الجزء الأخير من الأصحاح الأوّل والأعداد التي تتبع. فلقد لمسنا هناك قوّة الله العظيمة التي أقامت المسيح من بين الأموات وكلّلته بالمجد والكرامة. والآن نرى كيف أنّ القوّة ذاتها قد عملت في حياتنا نحن مُنهضةً إيّانا من الموت الروحي ومُجلسة إيّانا مع المسيح في السماويّات.

يُشبه هذا المقطع الأصحاح الأوّل من سفر التكوين. ففي كلا المقطعين نجد: أوّلاً، مشهد خراب وتشويش ودمار (تك١: ٢؛ أف٢: ١-٣)؛ ثانيًا، تدخُّل القوّة الإلهيّة (تك١: ٢ب؛ أف٢: ٤)؛ ثالثًا، خلق حياة جديدة (تك١: ٣-٣١؛ أف ٢: ٥-٢٢).

وها نحن في افتتاح الأصحاح الثاني جثث روحيّة مُلقاة في وادي الموت ولكن عند اختتامه لسنا فقط مُجلّسين مع المسيح في السماويّات، بل أيضًا نشكّل مسكنًا لله بالروح. وتتوسّط بين الحالتين تلك المعجزة العظيمة التي أنتجت هذا التغيير الكبير.

تصف الأعداد العشرة الأولى قوّة الله العاملة في خلاص الأمم واليهود. وليست ثمّة من "سندريلاّ" استطاعت أن تنتقل من خرق بالية كهذه إلى غنى عظيم كهذا!

ويذكّر بولس في العددين الأوّلين قرّاءه من الأمم أنّهم كانوا قبل اهتدائهم أمواتًا، فاسدين وتابعين للشيطان وعصاة. فقد كانوا **أمواتًا بالروح نتيجة ذنوبهم وخطاياهم**. وهذا يعني أنّهم كانوا عديمي الحياة بالنسبة إلى الله، إذ لم يكن لهم علاقةٌ حيويّة به. وقد عاشوا كما لو لم يكن الله موجودًا. وكان السبب في موتهم هو **الذنوب والخطايا**. **فالخطايا** هي كلّ الأشكال التي تتّخذها الأعمال الشريرة سواء جرت عن قصد أو بغير قصد؛ وأيضًا الأفكار والكلمات والأفعال التي تقصّر دون مستوى الكمال الإلهي. أمّا **الذنوب** فهي الخطايا التي أُرتُكبت في خرق ظاهر لناموس معروف، وقد تشمل أيضًا بمعنى أوسع أيّ نوع من أنواع العثرات أو الزلاّت.

**٢: ٢** لقد كان أهل أفسس فاسدين وأمواتًا على السّواء. كانوا يسلكون **حسب دهر هذا العالم** وقد شاكلوا روح هذا الدهر. وانغمسوا في خطايا أيّامهم. إنّ لدى العالم قالبًا يصبّ فيه كلّ الذين يقدّمون له الولاء، وهو قالب الخداع

والنجاسة والشرّ والأنانيّة والعنف والتمرّد، وبكلمة واحدة: إنّه قالب الفساد. هكذا كانت حال الأفسسيّين.

وعلاوة على ذلك، كانت تصرّفاتهم شيطانيّة أيضًا. **لأنّهم اتّبعوا مثال إبليس رئيس سلطان الهواء.** فقد كان يقودهم رئيس الأرواح الشريرة الذي جُعل له الهواء مركزًا للنفوذ. وقد خضعوا بإرادتهم «لإله هذا الدهر». وهذا يفسّر سبب انحطاط غير المؤمنين منهم إلى أنواع شريرة من السلوك تنحدر عن مستوى السلوك الحيواني.

أخيرًا، نقرأ أنّهم تمرّدوا سالكين **حسب الروح الذي يعمل الآن في أبناء المعصية.** فجميع الناس غير المخلّصين هم أبناء المعصية، بمعنى أنّهم متورّطون بحياة العصيان على الله. وبتشجيع من الشيطان لديهم استعداد لتحدّي الربّ وإهانته وعدم طاعته.

**٢: ٣** إنّ انتقال بولس من ضمير جمع المخاطب «أنتم» إلى ضمير جمع المتكلّم «نحن» يشير إلى أنّه يتحدّث الآن بشكل رئيسي عن المؤمنين اليهود (علمًا بأنّ كلامه هذا يصح على الجميع قبل رجوعهم إلى الله). وإليك ثلاث كلمات تصف حالتهم، وهي: جسديّون، فاسدون، محكومٌ عليهم.

**الذين بينهم نحن جميعًا تصرّفنا قبلاً في شهوات جسدنا.** لقد سلك بولس ورفقاؤه المسيحيّون بين أبناء المعصية، قبل حصولهم على الولادة الجديدة. كانت حياتهم جسديّة وتهتمّ فقط بإشباع شهوات الجسد ورغائبه. ومع أنّ بولس عاش حسب الظاهر حياة أخلاقيّة فاضلة بشكل عام، فقد أدرك الآن كم كانت حياته أنانيّة، وأدرك أنّ مجرّد الحالة التي كان عليها في نفسه هي أبشع من كلّ ما قد عمله.

وكان اليهود غير المؤمنين بالمسيح فاسدين أيضًا، **عاملين مشيئات الجسد والأفكار.** وهذا يشير إلى الاستسلام لكلّ الرغبات الطبيعيّة. وقد تتراوح مشيئات الجسد والأفكار كل التراوح بين الرغبات الشرعية الطبيعية، ومختلف أنواع النجاسة والانحطاط الخلقي. وربّما كان التشديد هنا على الخطايا الفاضحة. هذا، ويشير بولس إلى خطايا الفكر في الوقت الذي فيه يشير إلى الأفعال الخاطئة. ويحذّر ف.ب. ماير *F. B. Meyer* قائلاً:

> إنّ تساهلنا مع شهوات الفكر مدمّر كتساهلنا مع شهوات الجسد بالتمام. فبواسطة هبة الخيال العظيمة قد نتساهل مع النزوات غير الطاهرة ونطلق العنان لأحصنة الشهوة التي تتوقّف فقط لعجزها عن التنفيذ الفعلي. وما من عين بشريّة تستطيع أن تتتبّع النفس عندما تنطلق راقصة مع اللّذات وتسلك في متاهات جزر الشهوة. فهي تتيه متنقّلة دون أن يشكّ فيها الأقربون، فتفقدَ في نظرهم شرف الطهارة النقيّة كالثلج. ويُسمح لها مع ذلك أن تُشارك العذارى في انتظار مجيء العريس السماويّ. ولكن إن لم يُعترَف بهذا العمل ويُحكَم عليه فهو يَسِمُ مَن يقوم به ابنًا من أبناء المعصيّة وولدًا من أولاد الغضب.

وأخيرًا يصف بولس غير المخلّصين من اليهود على الشكل التالي: كانوا «**بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضًا**». وهذا يعني أنّه كان لديهم استعداد طبيعي للغضب والشرّ والمرارة والمزاج الحاد. ويصحّ القول طبعًا إنّهم كانوا أيضًا تحت غضب الله. فقد وُضع لهم الموت ثمّ الدينونة. ونلاحظ أنّ أعداء الإنسان الثلاثة يَرِد ذكرهم في العددين ٢و٣؛ وهم العالم (ع٢)، الشرّير (ع٢)، والجسد (ع٣).

**٢: ٤** إنّ الكلمة «الله» في بداية هذه الآية تشكّل واحدة من أهمّ وأبلغ نقاط التحوّل وأكثرها إلهامًا في الأدب كلّه. فهي تشير إلى أنّ تغييرًا هامًّا قد جرى. وهو تحوّل من الدينونة واليأس اللذين يغمران وادي ظلّ الموت إلى الفرح العظيم الذي يميّز ملكوت ابن محبّة الله. والله نفسه هو الذي يقوم بهذا التغيير، فما من أحد آخر يستطيع أن يقوم بهذا العمل أو حتّى يفكّر بالقيام به. وواحدة من صفات إلهنا المبارك هي أنّه **غنيّ في الرحمة**. وهو يُظهر رحمته لنا فلا يعاملنا بحسب استحقاقنا (مز١٠٣: ١٠). "ومع أنّ رحمته قد امتدّت على مدى ستة آلاف سنة واستفادت منها ألوف مؤلّفة من البشر، فهي ما تزال منجم غني لا يُستنفد" (والملاحظة هنا هي لإيدي *Eadie*).

ويظهر سبب تدخّل الله في الكلمات التالية: **من أجل محبّته الكثيرة التي أحبّنا بها.** فمحبّته عظيمة لأنّه هو مصدرها. وكما أنّ عظمة المُعطي تضفي هالة من العظمة على عطيّته، فإنّ جلال الله الذي لا يُضاهى يضفي كذلك بهاءً أمجد على محبّته. فإنّ صدور المحبّة عن ملك الكون العظيم، على سبيل المثل، أعظم بكثير من صدورها عن إنسان آخر مثلنا. وترجع العظمة في محبّة الله لنا إلى الثمن العظيم الذي دفعه. فالمحبّة أرسلت الربّ يسوع، ابن الله الوحيد ليموت عنّا معذّبًا على صليب الجلجثة. وعظمة محبّة الله ترجع إلى الغنى الذي لا يُستقصى والذي تُمطره على المستفيدين منها.

**٢: ٥** تتجلّى العظمة في محبّة الله بسبب عدم الاستحقاق الشديد والكراهية الشديدة اللذين يتّصف بهما أولئك الذين خصّهم بمحبّته. ومع أنّنا كنّا **أمواتًا بالذنوب**، وكنّا أعداءً لله، وفي حالة فساد وانحطاط، فقد أحبّنا الله رغم هذا كلّه.

ونتيجة لمحبّة الله لنا، ونتيجة لعمل المسيح الفدائي، فقد: **١- أحيانا معه؛ ٢- وأقامنا معه؛ ٣- وأجلسنا فيه معًا في السماويّات.**

هذه الكلمات وصف لمقامنا الروحيّ نتيجة اتّحادنا بالمسيح. فقد قام الربّ يسوع بدور مَن يمثّلنا لدى الله، وهو لم يكن ممثّلاً «لنا» فقط، بل كان كأنّه «نحن» بالذات. لذلك عندما مات هو متنا نحن أنفسنا. وعندما دُفن هو، دُفنّا نحن بالذات أيضًا.

وعندما أقيم المسيح من الموت وأُجلس في السماويّات، تمّ هذا العمل فينا أيضًا. فنحن نتمتّع بكل الفوائد التي ينطوي عليها عملُ الصليب، بسبب اتّحادنا بالمسيح. أمّا أنّه **أحيانا معه** فمعناه أنّ المؤمنين من اليهود والأمم هم الآن متّحدون به في جدّة الحياة. ذلك لأنّ نفس القوّة التي أقامت الربّ يسوع من الأموات هي التي أعطتنا الحياة أيضًا. إزاء عظمة هذا الأمر، لم يسع بولس سوى أن يقطع سلسلة أفكاره ويقول متعجّبًا: **بالنعمة أنتم مخلّصون.** فالرحمة غير المحدودة التي أظهرها الله لأولئك الذين يستحقّون العكس تمامًا تركت بولس في حالة اندهاش غامر. هذه هي النعمة!

لقد سبق أن ذكرنا أنّ الرحمة تعني أنّنا لا ننال الدينونة التي نستحقّها. أمّا **النعمة** فتعني أنّنا نحصل على الخلاص الذي لا نستحقّه. نحصل عليه عطيّة مجانيّة، وليس كشيء نكسبه بمجهودنا. ويأتينا هذا الخلاص من الذي لم يكن مضطرًّا إلى إعطائه. ويقول بيرسون *A.T. Pierson*:

> إنّ هذا إظهار طوعي للمحبّة لم يكن الربّ مُجبرًا عليه أبدًا. والذي يُضفي على هذه النعمة مجدَها هو أنّها تعبير عن محبّة لم يكن الله مُجبرًا بها أو مُكرهًا عليها، لكنّه أظهرها نحو خطاة تعساء.

**٢: ٦ إنّنا لم نُحيَ مع المسيح فقط، بل أُقمنا معه أيضًا.** وكما أنّ الموت والدينونة أصبحا وراءه، كذلك أصبحا وراءنا أيضًا. فنحن نقف من القبر في جهة القيامة. هذا هو مركزنا المجيد الذي نتج عن اتّحادنا بالمسيح. وبما أنّ كل هذا صحيح فينا من حيث المقام، فعلينا أن نحيا كمن قاموا من بين الأموات بجدّة الحياة.

هناك وجهة أخرى لمقامنا المجيد وهي أنّنا مُجلّسون معًا **في السماويّات في المسيح.** فإذ نحن متّحدون به، يرانا الله وكأنّنا قد خلصنا فعلاً من العالم الحاضر الشرّير وأُجلسنا في المسيح في المجد. كم ستغيّر هذه الحقيقة من طبيعة حياتنا إذا ما امتلكناها بالإيمان. فلن نعود بعد ذلك مشدودين إلى هذه الأرض ومشغولين بالأشياء الوقتية والتافهة. وسنطلب عندئذ الأشياء التي من فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله (كو٣: ١).

إنّ مفتاح الآيتين ٥و٦ هو عبارة «**في المسيح يسوع**». ففي المسيح أُحيينا وأُقمنا وأُجلسنا، إذ إنّه هو الذي يمثّلنا؛ لذلك فإنّ انتصاره ومركزه المجيدين هما لنا أيضًا. ويتعجّب جورج وليمز *George Williams* قائلاً: "يا لها من فكرة مذهلة أن يكون أشخاص مثل اللصّ المصلوب ومريم المجدليّة من رفقاء ابن الله في مجده!".

**٢: ٧** وستكون معجزة النعمة هذه المغيّرة موضوع الإعلان الأبدي. فطوال الدهور الأبديّة سيستمرّ الله في الكشف للجموع السماويّة عن مقدار الثمن الذي كلّفه ليُرسل ابنه إلى أدغال الخطيّة، وعن الثمن الذي دفعه الربّ يسوع ليحمل خطايانا على خشبة الصليب. إنّه موضوع لا يمكن استنفاده. ومرّة أخرى يبني بولس برجًا من الكلمات ليبيّن لنا شيئًا من عظمة هذا الموضوع:

**اللطف علينا**

**نعمته باللطف علينا**

**غنى نعمته باللطف علينا**

**غنى نعمته الفائق باللطف علينا**

وما دام الله سيكشف هذه الأمور طوال الأبديّة، فذلك معناه أنّنا لن نكفّ عن التعلّم إلى أبد الآبدين. وستغدو السماء مدرستنا والله معلّمنا. أمّا موضوع التعليم فسيكون **نعمته** الغنيّة. وسنكون نحن التلاميذ، وامتداد الدراسة سيكون على مدى الأبديّة. ربّما حرّرنا هذا من الفكر القائل بأنّنا سنعلم كل الأشياء فورًا عندما نصير في السماء. إنّ الله وحده يعلم كلّ شيء، ولن نكون مساوين له أبدًا.

هذا يطرح السؤال المهمّ عن مقدار المعرفة التي سنتمتّع بها عندما نمضي إلى السماء. وربّما يوحي بالاحتمال القائم بأنّنا نستطيع أن نتحضّر للجامعة السماويّة من طريق تخصّصنا بالكتاب المقدّس منذ الآن.

**٢: ٨ تُقدّم الأعداد الثلاثة التالية توضيحًا كاملاً لخطّة الخلاص البسيطة كما نجدها في الكتاب المقدّس.**

إنّ **نعمة** الله هي مصدر كلّ شيء: فالله يأخذ زمام المبادرة في إعطائها، ويمنح الخلاص للذين لا استحقاق لهم البتّة، وذلك على أساس شخص الربّ يسوع المسيح وعمله على الصليب.

وإذ يُعطى الخلاص يصبح ملكًا حاليًّا للذي يأخذه. وهذا معروف عند كلّ الذين حصلوا على الخلاص بالنعمة. ويقول بولس في معرض كتابته إلى القديسين في أفسس: **أنتم مخلّصون.** فقد كان يعلم ذلك يقينًا، كما عرفوا ذلك هم أيضًا.

أمّا الطريقة التي نقبل بها عطيّة الخلاص **فهي بالإيمان.** والإيمان يعني أن يأخذ الإنسان مكانه كخاطئ مذنب هالك، ويقبل الرب يسوع رجاءً وحيدًا لخلاصه. والإيمان المخلّص الحقيقي هو عبارة عن تكريس الإنسان نفسه لشخص الربّ يسوع.

هذا وتتلاشى نهائيًّا كلّ فكرة بأنّ الإنسان يمكنه أن يكسب الخلاص أو يستحقّه عن قول الرسول: **وذلك ليس منكم.** فالأموات عاجزون عن فعل أي شيء، والخطاة لا يستحقّون إلاّ القصاص.

**هو عطيّة الله؛** والعطيّة بالطبع هي هديّة مجانيّة غير مشروطة. وهذا هو الأساس الوحيد الذي عليه يقدّم الله الخلاص لنا. **إنّ عطيّة الله هي الخلاص بالنعمة وبالإيمان.** وهو مقدّم للناس في كلّ مكان.

**٢: ٩ ليس من أعمال،** أي ليس شيئًا يستطيع الإنسان الحصول عليه مكافأة له على أعمال متعارف عليها بأنّها صالحة. فالخلاص لا يُكتسب مثلًا من طريق: ١ـ التثبيت الديني ٢ـ المعموديّة ٣ـ عضويّة الكنيسة ٤ـ حضور اجتماعات الكنيسة ٥ـ المناولة ٦ـ محاولة حفظ الوصايا العشر ٧ـ العيش بحسب الموعظة على الجبل ٨ـ العطاء الخيري ٩ـ العيش كقريب صالح ١٠ـ أن نحيا حياة أخلاقيّة محترمة.

لا يحصل الناس على الخلاص من طريق الأعمال. ولا يكون الخلاص بالإيمان مع زيادة الأعمال عليه. إنما الخلاص بالإيمان وحده دونما زيادة. وفي اللحظة التي تُزاد فيها الأعمال من أيّ نوع كانت أو بأيّ حجم كوسيلة لكسب الخلاص لا يعود الخلاص بالنعمة (رو١١: ٦). وأحد الأسباب التي من أجلها تُستبعَد الأعمال كليًّا هو منع الافتخار البشري. فلو كان بإمكان أحد أن يخلص من طريق أعماله فسيدعوه ذلك للافتخار أمام الله، وهذا مستحيل بالطبع (رو٣: ٢٧).

ولو كان بإمكان أحد الخلاص من طريق الأعمال الصالحة لكان موت المسيح غير ضروريّ (غل٢: ٢١). لكنّنا نعلم أنّ الربّ يسوع مات لأنّه لا توجد طريقة أخرى يستطيع بواسطتها الخطاة المذنبون أن يحصلوا على الخلاص.

لو كان بمقدور أحد أن يخلص بواسطة أعماله الصالحة، لغدا هو مخلّص نفسه، ويمكنه أن يعبد نفسه. لكنّ هذه عبادة أوثان وهي محرّمة عند الله (خر٢٠: ٣).

حتى لو كان بإمكان أحد أن يحصل على الخلاص بالإيمان بالمسيح مع زيادة أعماله الصالحة، لَصار عندنا حالة مستحيلة فيها مخلّصان: الربّ يسوع والخاطئ؛ واشترك آخرون مع المسيح في مجد إعطاء الخلاص، ولن يسمح الربّ بذلك أبدًا (إش٤٢: ٨).

أخيرًا، لو كان باستطاعة أحد أن يساهم في خلاص نفسه من طريق أعماله، لَبات الله مديونًا له، وهذا أيضًا مستحيل، لأنّ الله ليس مديونًا لأيّ إنسان (رو١١: ٣٥).

إنّ الإيمان يُبطل الافتخار، وذلك بعكس الأعمال (رو٣: ٢٧)، لأنّه غير متعلّق بأيّ استحقاق، فالإنسان لا يستطيع الاعتداد بنفسه لأنّه وضع ثقته في الربّ. فالإيمان به هو أصحّ ما يمكن أن يفعله، وهو أعقلُ عملٍ يدعو إليه المنطق السليم ويستريح عليه القلب. والثقة بخالقنا وفادينا هي أكثر الأشياء منطقيّة ومعقوليّة، فإن كنّا لا نثق به فبمن نثق؟

**٢: ١٠ أمّا نتيجة الخلاص فهي أنّنا نحن عمله**، صنع يد الله لا صنع أيدينا. فالمؤمن المولود ثانية هو تحفة رائعة من روائع الله. وعندما نفتكر بالمواد الأساسيّة التي كان على الله أن يستخدمها في عمله، ندرك شيئًا من عظمة الإنتاج. وبالحقيقة ليست هذه التحفة إلاّ عمليّة خلق جديدة بالاتّحاد مع المسيح، لأنّه «إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة؛ الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكلّ قد صار جديدًا» (٢كو٥: ١٧).

هذا وتحدّد العبارة **لأعمال صالحة** هدف الخليقة الجديدة. فمع أنّه صحيح أنّنا لا نخلص بأعمال صالحة، فالصحيح أيضًا هو أنّنا نخلص **لأعمال صالحة**. فالأعمال الصالحة ليست الجذور بل الثمار. فنحن لا نعمل الأعمال الصالحة حتى نخلص، بل نعملها لأنّنا خلصنا.

وتشدّد كلمة الله في يعقوب ٢: ١٤-٢٦ على هذه الناحية من الحقيقة. فعندما يقول يعقوب إنّ «الإيمان بدون أعمال ميّت»، فهو لا يقصد أنّنا نحصل على الخلاص بالإيمان زائدةً عليها الأعمال، بل بالإيمان الذي ينتج حياة ملؤها الأعمال الصالحة. فالأعمال تبيّن وجود إيماننا. ويوافق الرسول بولس مع ذلك تمامًا فيقول: **لأننا نحن عمله مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة**.

إنّ ترتيب الله إذًا هو كالتالي: إيمان، فخلاص، فأعمال، فمكافأة.

الإيمان يؤدّي إلى الخلاص؛ والخلاص ينتج أعمالاً صالحة؛ **والأعمال الصالحة** تُكافأ من قِبَل الله.

لكنّ السؤال الذي يطرح نفسه هو: أيّ نوع من **الأعمال الصالحة** يُتوقّع منّي أن أعمل؟ ويجيب الرسول بولس على هذا قائلاً: **أعمال صالحة قد سبق الله فأعدّها لنسلك فيها**. وبكلام آخر، يوجد لدى الله مخطّط لحياة كلّ منّا. فقبل اهتدائنا عيّن الله لكلّ واحد شغلاً روحيًّا. وإن مسئوليتنا تكمن في معرفة مشيئته لنا وإطاعتها. ليس علينا أن نضع المخطّط لحياتنا، بل أن نقبل المخطط الذي رسمه الله لنا. وهذا يحرّرنا من الخوف والقلق، ويضمن أن تكون حياتنا بالتمام لمجد الله ولبركة الآخرين ولشبع نفوسنا ومكافأتنا.

ولكي نقدر أن نتعرّف على **الأعمال الصالحة** التي أعدّها الله لحياتنا بالذات، يجب علينا أن نتّبع **الخطوات** التالية: (١) الاعتراف بالخطيّة وتركها حالما ندرك وجودها في حياتنا. (٢) الخضوع للربّ ومشيئته باستمرار وبلا شروط. (٣) درس كلمة الله لمعرفة مشيئته، ثمّ إطاعة كلّ ما يأمر الربّ به. (٤) إمضاء وقت في الصلاة كلّ يوم. (٥) الاستفادة من الفرص التي تنشأ للخدمة. (٦) تقوية حياة الشركة مع المؤمنين الآخرين واستشارتهم. إنّ الله يحضّرنا **للأعمال الصالحة**، وهو يحضّر **الأعمال الصالحة** لنا لنقوم بها، ثم يكافئنا على القيام بها. تلك هي نعمته الغنيّة!

### هـ. *اتّحاد المؤمنين من اليهود والأمميّين في المسيح* (٢: ١١-٢٢)

تحدّث الرسول بولس، في النصف الأول من الأصحاح الثاني عن خلاص الأفراد من اليهود والأمم. وهو يتابع الآن متحدّثًا عن إبطال الفروقات القوميّة السابقة بين الاثنين، واتّحادهما في المسيح، وتشكيلهما للكنيسة، الهيكل المقدّس في الربّ.

**٢: ١١** يذكّر الرسول قرّاءه، في الآيتين ١١و١٢، بأنّهم كانوا قبل اهتدائهم، أممًا بحسب الولادة، وبالتالي منبوذين من قِبَل اليهود. كانوا أولاً محتقَرين، وهذا

واضح من تسمية اليهود لهم غرلة. ومعنى هذا أنّ الأمم لم تكن لهم العلامة الخارجيّة الظاهرة في اللحم والتي ميّزت الإسرائيليين باعتبارهم شعب العهد، عهد الله. هذا وإنّ التسمية «غرلة» كانت نوعًا من الطعن العرقي، وهي شبيهة بالتسميّات التي يطلقها الناس اليوم على الجنسيّات المحتقرة. ونشعر بشيء من لسع هذه التسمية في وصف داود لجُليات الأممي عندما قال، «من هو هذا الفلسطيني الأغلف حتى يُعيِّر صفوف الله الحي» (١صم١٧: ٢٦).

وبالمقابل فإنّ اليهود كانوا يسمّون أنفسهم الختان. وكان هذا الاسم مدعاة للفخر عندهم. فقد كان يميّزهم بأنّهم شعب الله الأرضي المختار قديمًا، والذي أُفرز عن بقية شعوب الأرض. ويظهر أنّ بولس يحدّ من افتخارهم إذ يقول: مصنوعًا باليد في الجسد؛ ذلك لأن الختان كان جسديًّا فقط. فمع أنّه كانت لديهم العلامة الخارجيّة التي ميّزتهم باعتبارهم شعبًا لله، إلاّ أنّه لم تكن لديهم حقيقة الإيمان الصحيح في الربّ. «لأنّ اليهودي في الظاهر ليس هو يهوديًّا ولا الختان الذي في الظاهر في اللحم ختانًا، بل اليهودي في الخفاء هو اليهودي، وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان؛ الذي مدحه ليس من الناس بل من الله» (رو٢: ٢٨، ٢٩).

لكن بغضّ النظر عن كون اليهود مختونين في القلب أو غير مختونين، فإنّ النقطة الرئيسيّة في الآية ١١ هي أنّهم كانوا في أعين أنفسهم هم الشعب، والأمم محتقرون. كانت هذه العداوة المستحكمة بين اليهود والأمم أكبر تفرقة عنصريّة ودينيّة عرفها العالم. فقد كان اليهودي يتمتّع بمركز مميّز أمام الله (رو٩: ٤، ٥)، في حين كان الأممي أجنبيًّا. وإذا شاء هذا الأخير أن يعبد الإله الحقيقي بالطريقة الصحيحة وجب عليه أن يتهوّد (مثل راحاب وراعوث). كما كان الهيكل في أورشليم هو المكان الوحيد على الأرض الذي فيه جعل الربّ اسمه، وفيه يقدر الناس أن يقتربوا إليه تعالى. وكان محرّمًا على الأمم أن يدخلوا إلى الدار الداخليّة تحت طائلة الموت.

وعندما تقابل الربّ يسوع مع المرأة الأمميّة التي من نواحي صور وصيداء، امتحن إيمانها بأن صوّر لها اليهود كالأولاد الذين في البيت والأمم كجراء الكلاب التي تحت المائدة. وقد اعترفت المرأة بأنّها من جراء الكلاب، وطلبت بالتالي أن تحصل على بعض الفتات المتساقط من أيدي الأولاد. وغني عن القول أنّ الرب أكرم إيمانها (مر٧: ٢٤- ٣٠). ويذكّر هنا الرسول بولس قرّاءه بأنّهم كانوا قبلاً أممًا وبالتالي محتقرين.

٢: ١٢ كان الأمم أيضًا بدون المسيح، إذ لم يكونوا منتظرين المسيّا الآتي، لأنّ الوعد به كان للأمّة الإسرائيليّة فقط. ومع أنّ النبوّات تشير إلى أنّ البركات ستشمل الأمم أيضًا من خلال خدمة المسيّا المنتظر (إش١١: ١٠؛ ٦٠: ٣)، فقد كان يُفترض أن يولد المسيح يهوديًّا وأن يخدم بالدرجة الأولى «خراف بيت إسرائيل الضالّة» (مت١٥: ٢٤). ولم يكن الأمم بدون مسيح فقط، بل كانوا أجنبيّين عن رعويّة إسرائيل أيضًا. والأجنبيّ هو الشخص الذي لا "ينتمي" إلى الكيان الوطنيّ، فهو غريب مجرّد من الحقوق والامتيازات التي يتمتّع بها المواطنون الأصليّون. كان الأمم خارج جماعة إسرائيل، وكأنّهم يصبُون إلى الداخل. كانوا غرباء عن عهود الموعد؛ فقد صنع الله عهودًا مع الأمّة من خلال رجال أتقياء مثل إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وسليمان. وقد وعدت هذه العهود اليهود بالبركات. أمّا الأمم فكانوا

خارج الكفّة. فقد كانوا **بلا رجاء**، على الصعيد القومي والفردي معًا. فلم يكن لهم، على الصعيد القومي، أيّ تأكيد بأنّ أرضهم ستبقى وحكمهم سيستمرّ وشعبهم سيدوم. أمّا على الصعيد الفردي، فحالتهم كانت تعسة إذ **لا رجاء لهم** أبعد من حدود القبر؛ وقد قال أحدهم إن مستقبلهم كان ليلاً بلا نجوم. وأخيرًا كانوا **بلا إله في العالم**. وهذا لا يعني أنّهم كانوا ملحدين، فقد كانت لديهم آلهتهم الخاصّة المصنوعة من الخشب والحجارة، وكانوا يعبدونها. لكنّهم لم يعرفوا الإله الحقيقي الوحيد. وهكذا كانوا بلا إله في عالمٍ لا يعرف الله ويُعدُّ عدوًّا.

**٢: ١٣** أمّا التعبير **ولكن الآن**، فيشير إلى عمليّة انتقال مفاجئ حصلت (أنظر ٢: ٤). فالأفسسيّون الأمم كانوا قد تخلّصوا من مكان البُعد والغربة الذي كانوا فيه، ورُفعوا إلى مركز القرب من قلب الله. وهذا تمّ لحظة اهتدائهم للربّ. فعندما قبلوا الربّ يسوع مخلّصًا، بالإيمان، جعلهم الله **في المسيح يسوع** وقبلهم في ابنه المحبوب. ومنذ ذلك الوقت أصبح قربهم من الله كقرب المسيح منه، لأنّهم كانوا **في المسيح يسوع**. أمّا الثمن الذي جعل معجزة التغيير هذه تحصل فليس هو إلاّ **دم المسيح**. فقبل أن يستطيع هؤلاء الأمم الخطاة أن يتمتّعوا بامتياز القرب من الله، كان يجب أن يُطهّروا من خطاياهم. ودم المسيح المسفوك على صليب الجلجثة هو وحده القادر على إتمام هذا. فقد تحوّلت لحسابهم قدرة التطهير العظيمة التي لدمه الكريم في اللحظة التي فيها قبلوا الربّ يسوع بخطوة إيمان جريئة.

هذا، ولم يصيّرهم الرب يسوع **قريبين** فقط، بل أيضًا خلق مجتمعًا جديدًا انتفت فيه إلى الأبد العداوة القديمة التي استحكمت بين اليهود والأمم. فحتى زمان العهد الجديد كان العالم يُقسّم إلى فئتين: اليهود والأمم. لكنّ الربّ يسوع أدخل فئة ثالثة هي الكنيسة (١كو١٠: ٣٢). ونرى في الأعداد التالية، كيف أنّ المؤمنين اليهود والمؤمنين الأمم أصبحوا الآن واحدًا في المسيح، ودخلوا معًا إلى هذا المجتمع الجديد حيث «ليس يهوديّ ولا يونانيّ».

**٢: ١٤ لأنّه هو سلامنا**. لنلاحظ أنّه لا يقول "هو صنع سلامنا"؛ هذا أيضًا صحيح بالطبع، كما سنرى من الآية التالية. لكنّ الحقيقة التي يريد الرسول تأكيدها هنا هي أنّه **هو** نفسه **سلامنا**. لكن قد يسأل بعضٌ كيف يمكن لأحد أن يكون سلامًا؟

هاكم الجواب: عندما يؤمن اليهوديّ بالمسيح يخسر هويّته القوميّة؛ فهو من الآن فصاعدًا «في المسيح». كذلك عندما يؤمن الأممي بالمسيح المخلّص لن يعود بعدُ أمميًّا؛ فهو من الآن فصاعدًا «في المسيح». وبكلام آخر، إنّ اليهود المؤمنين والأمم المؤمنين، الذين كانت العداوة تفرّق بينهم قبلاً، أصبحوا الآن واحدًا في المسيح. فاتّحادهم بالمسيح يوحّدهم بالضرورة بعضهم ببعض. وهكذا يكون الإنسان سلامًا، تمامًا كما تنبّأ ميخا (مي٥: ٥).

والأعداد ١٤-١٨ تشرح لنا مدى اتّساع عمل المسيح بوصفه **سلامنا**.

أوّلاً، هنالك عمل التوحيد الذي وصفناه الآن: **جعل الاثنين واحدًا**، أي المؤمنين من اليهود والأمم. فهم لم يعودوا يهودًا أو أممًا، بل أصبحوا مسيحيّين. وعلى وجه الدقّة، ربّما لا يصحّ أيضًا تسميتهم بالمسيحيّين اليهود أو المسيحيّين الأمم. لأنّ كل التفرقات الجسديّة، والقوميّات منها، قد سُمّرت على صليب الجلجثة.

أمّا المرحلة الثانية من عمل المسيح فيمكن تسميتها بمرحلة الهدم: **الذي... نقض حائط السياج المتوسّط**. وهذا ليس حائطًا مرئيًّا، بل هو الحاجز غير المنظور الذي وضعه ناموس موسى في الوصايا والفرائض التي أفرزت الشعب الإسرائيلي عن بقيّة الشعوب. وغالبًا ما تمثّل هذا الأمر بالحائط الذي كان يحصر غير اليهود داخل دار الأمم في الهيكل. وكأنّ إشارات عدم التجاوز كانت على الحائط تقول: "يُمنع على أيّ واحد من الأمم الاقتراب من السياج والحاجز الذي حول القُدس. كلّ من لا يتقيّد بهذا الحظر سيحمل مسئوليّة عمله الذي ينشأ عنه الموت".

**٢: ١٥** الوجهة الثالثة لعمل المسيح هي **نقض العداوة** التي استحكمت بين اليهود والأمم وبين الإنسان والله. ويعرّف بولس الناموس بأنّه السبب العداوة الحياديّ، أي **ناموس الوصايا في فرائض**. فقد كان ناموس موسى نصًّا تشريعيًّا واحدًا، لكنه كان يتألّف من وصايا أساسيّة مستقلّة؛ وهذه الأخيرة كانت تحوي تعاليمَ وأحكامًا تتناول معظم مجالات الحياة، إن لم يكن كلّها. كان الناموس بحدّ ذاته مقدّسًا وعادلاً وصالحًا (رو٧: ١٢). لكنّ طبيعة الإنسان الساقطة استخدمت الناموس كفرصة للبُغضة. ولأنّ الناموس كرّس بني إسرائيل كشعب الله الأرضيّ المختار، فقد أصبح الكثيرون من اليهود مُتباهين، وبالتالي عاملوا الأمم بازدراء. أمّا الأمم فقد ردّوا الاحتقار بعداوة أقسى منه وأدهى. لكن كيف رفع المسيح الناموس كسبب **العداوة** هذه؟ أولاً، لقد مات حتّى يدفع الأجرة التي تطلّبها كسر الناموس. وهكذا وفّى بالتّمام مطالب الله العادلة. والآن لم يعد للناموس أيّ حقّ على أولئك الذين هم «في المسيح»؛ فقد دُفعَت العقوبة عنهم كاملة. فالمؤمنون ليسوا تحت الناموس الآن بل في النعمة. لكن هذا لا يعني أنْ باستطاعتهم أن يعيشوا كما يشاؤون؛ بل يعني أنّهم الآن تحت ناموسٍ (قانونٍ) نحو المسيح، وعليهم بالتالي العيش كما يرضيه هو.

ونتيجة لإلغاء العداوة التي حرّكها الناموس، استطاع الربّ أن يبشّر بخليقة جديدة. فقد صنع في نفسه من **الاثنين**، أي المؤمنين من اليهود والأمم، **إنسانًا واحدًا جديدًا**، كيانَ الكنيسة. فبالاتّحاد معه توحّد المتقاتلون القدامى بعضُهم مع بعض في هذه الشركة الجديدة. والكنيسة جديدة بمعنى أنّها جسم لم يسبق أن وُجِد من نوعه في السابق. ومهمّ جدًّا أن نلاحظ هذا الأمر. فكنيسة العهد الجديد ليس استمرارًا لإسرائيل العهد القديم. إنّما هي شيء مختلف تمامًا عن كلّ ما سبقها أو سيَليها. وهذا يتوضّح لنا من التالي:

١- إنّه أمر **جديد** أن تكون للأمميّ حقوق وامتيازات متساوية مع اليهودي.

٢- إنّه أمر **جديد** أن يخسر اليهوديّ والأمميّ جنسيتهما المختلفتين إذ أصبحا مسيحيّين.

٣- إنّه أمر **جديد** أن يصبح اليهود والأمم أعضاء معًا في جسد المسيح.

٤- إنّه أمر **جديد** أن يكون لليهوديّ رجاء في الملك مع المسيح بدلاً من أن يكون من رعايا ملكوته.

٥- إنّه أمر **جديد** ألاّ يعود اليهوديّ تحت الناموس.

هكذا فمن الواضح أن الكنيسة هي خليقة جديدة، لها دعوة خاصّة ومصير خاصّ ومكان خاصّ في مقاصد الله. لكنّ مجال عمل المسيح لا يتوقّف هنا فقط. بل قد صنع بنفسه سلامًا بين اليهود والأمم؛ وفعل هذا إذ أزال سبب العداوة بمنحه الطبيعة الجديدة وبخلقه كيانًا متّحدًا جديدًا.

إنّ الصليب هو الحلّ الإلهي للتفرقة العنصريّة والتمييز وكل أنواع التعصّب الأعمى وأشكال النزاع بين البشر.

**٢: ١٦** وبالإضافة إلى مصالحته لليهود والأمم بعضهم مع بعض، فقد صالحهم المسيح أيضًا مع الله نفسه. فمع أنّ إسرائيل والأمم كانوا على عداوة شديدة بعضهم لبعض، فقد كانوا متّحدين في شيء واحد، ألا وهو عداوتهم لله. أمّا سبب هذه العداوة فهو الخطيّة. وبموت الربّ يسوع على الصليب أزال هذه العداوة إذ أزال السبب فيها. والذين يقبلونه مخلّصًا لهم يُحسبون أبرارًا ومغفورةً خطاياهم كما يُحسبون مفديّين ومُسامحين ومُخلّصين من سلطان الخطيّة وقوّتها. فالعداوة قد مضت، وها هم الآن يتمتّعون بالسلام مع الله. فالربّ يسوع يوحّد المؤمنين من اليهود والأمم معًا في جسد واحد هو الكنيسة، ويُحضر هذا الجسد لله وقد زالت منه كلّ آثار التنافر.

لم يكن الله هو الطرف الذي يحتاج المصالحة؛ فهو لم يُبغضنا قطّ. لكنّنا نحن الطرف الذي كانت تلزمه المصالحة مع الله. وقد أمّن عمل الربّ يسوع على الصليب قاعدة البرّ التي نستطيع على أساسها أن نُحضَر إلى الله كأصدقاء وليس كأعداء.

**٢: ١٧** تخبرنا الآية ١٤ بأنّ المسيح هو سلامنا، وتخبرنا الآية ١٥ بأنه هو الذي صنع السلام. أمّا الآن فنجد أنّ المسيح جاء وبشّر بالسلام. لكن كيف ومتى جاء المسيح؟ لقد جاء شخصيًّا في القيامة أوّلاً. وجاء ممثّلاً بالروح القدس ثانيًا. فقد بشّر بالسلام في قيامته، وكان السلام من الكلمات الأولى التي تلفّظ بها بعدما قام من بين الأموات (لو ٢٤: ٣٦؛ يو ٢٠: ١٩، ٢١، ٢٦). ثمّ أرسل الرسل بقوّة الروح القدس وبشّر بالسلام بواسطتهم (أع ١٠: ٣٦).

أمّا إنجيل السلام فقد تمّ التبشير به لكم أنتم البعيدين (الأمم) والقريبين (اليهود)، وهذا كان إتمامًا مباركًا لوعد الله المذكور في إشعياء ٥٧: ١٩.

**٢: ١٨** إنّ البرهان العملي على وجود السلام بين أعضاء الجسد الواحد والله هو حقيقة قدومهم في أي وقت إلى محضر الله. ويتناقض هذا الأمر تمامًا مع تدبير العهد القديم، حيث كان يمكن لرئيس الكهنة فقط أن يدخل إلى قدس الأقداس الذي هو مكان حضور الله؛ ولم يكن باستطاعته الدخول إلاّ في يوم واحد من السنة. ويشير إيدي *Eadie* إلى هذا التناقض فيقول:

> أمّا الآن فإن أبعد أممي، إن كان «في المسيح»، يتمتّع حقًّا، وبلا انقطاع، بذلك الامتياز الروحي العظيم الذي كان يتمتّع به بشكل دوري ورمزي فقط رجل واحد من سبط واحد في أمّة واحدة وفي يوم واحد من السنة.

وبالصلاة يستطيع أيّ مؤمن أن يدخل إلى قاعة العرش السماويّة، ويركع أمام سيّد الكون مخاطبًا إيّاه بوصفه الآب.

هذا، ونجد هنا الترتيب الطبيعي المفروض اتّباعه في الصلاة. يجب أوّلاً أن نتقدّم به (أي بالربّ يسوع)، فهو الوسيط الوحيد بين الله والناس. وقد أزاح بموته ودفنه وقيامته كلّ العقبات الشرعيّة لقبولنا في محضر الله. والمسيح، من حيث هو الوسيط، يحيا الآن في الأعالي ليحفظنا في حالة الشركة مع الآب السماوي. لذلك فنحن نتقدّم إلى الله باسمه وباستحقاقه لأن لا استحقاق لنا في ذواتنا. أمّا الكلمة كلينا فتدلّ على المشتركين في الصلاة: المؤمنين من اليهود والأمم. وامتيازنا هو

أنّ لنا **قدومًا**؛ وأما مُعيننا في الصلاة فهو الروح القدس: **بروح واحد**. «وكذلك الروح أيضًا يعين ضعفاتنا. لأنّنا لسنا نعلم ما نصلّي لأجله كما ينبغي، ولكنّ الروح نفسه يشفع فينا بأنّات لا يُنطق بها» (رو٨: ٢٦).

أمّا الذي نتقدّم إليه فهو **الآب** السماوي. هذا ولم يعرف أيّ من قدّيسي العهد القديم الله آبًا. فقبل قيامة المسيح كان الناس يقفون أمام الله كمخلوقات أمام خالقها. أمّا بعد قيامته فقد قال: «اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم، إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم» (يو ٢٠: ١٧). ونتيجةً لعمل المسيح الكفاري على الصليب، أصبح المؤمنون قادرين على مخاطبة الله بوصفه الآب. وتُظهر لنا الآية ١٨ كيف أنّ أقانيم الثالوث جميعًا معنيّون مباشرة بصلوات أصغر القدّيسين: فهو يصلّي إلى الله **الآب** متقدّمًا إليه بواسطة الربّ يسوع المسيح، وذلك بقوّة **الروح** القدس.

**٢: ١٩** عدّد الرسول بولس في الآيات الأربع الأخيرة من هذا الأصحاح بعض الامتيازات العجيبة التي للمؤمنين الأمميّين. فهم ليسوا **بعد غرباء ونزلاً**. ولن يكونوا أبدًا في ما بعد أجنبيّين أو "كلابًا"، غرلة أو دخلاء. لكنّهم الآن **رعيّة مع قدّيسي** العهد الجديد. كما يتساوون الامتيازات تمامًا مع القدّيسين الذين هم من خلفيّة يهوديّة. فكلّ المسيحيّين هم مواطنون من درجة أولى في السماء (في ٣: ٢٠، ٢١). والمؤمنون الأمميّون هم أيضًا **أهل بيت الله**. فعلاوة على أنّهم حصلوا على الجنسيّة الفائقة في ملكوت الله، فقد جرى تبنّيهم في العائلة السماويّة أيضًا.

**٢: ٢٠** أخيرًا، أصبح المؤمنون من الأمم في عِداد الكنيسة، أو صاروا، بحسب تصوير بولس، حجارة تبني **هيكلاً مقدّسًا**. ويصف الرسول هذا الهيكل بتفصيل دقيق، مميّزًا **أساسه وحجر الزاوية** فيه، وعنصر التماسك فيه، وأيضًا وحدته وتناظُره ونموّه وكلّ الميّزات الأخرى الفريدة فيه.

وإنّ هذا الهيكل مبنيّ **على أساس الرسل والأنبياء**. يُشير هذا إلى رسل العهد الجديد وأنبيائه: إذ لا يمكن أن تكون الإشارة هنا إلى أنبياء العهد القديم لأنّهم لم يعرفوا شيئًا عن الكنيسة. ولا يعني هذا أنّ **الرسل والأنبياء** هم أساس الكنيسة، فالمسيح **هو الأساس** (١كو٣: ١١)، بل يعني أنّهم وضعوا الأساس في التعاليم التي علّموها عن شخص الرب يسوع وعمله. إنّ الكنيسة مبنيّة على المسيح كما صار مُعلنًا بواسطة اعتراف **الرسل والأنبياء** وتعليمهم. وعندما اعترف بطرس بيسوع أنّه المسيح ابن الله الحي، أعلن الربّ يسوع أنّه سيبني كنيسته على تلك الصخرة، أي على الحقّ الراسخ المتمثّل بأنّه مسيح الله وابنه الوحيد (مت١٦: ١٨). ونجد في رؤيا ٢١: ١٤ أنّ الرسل مرتبطون بالأساسات الاثني عشر التي لمدينة أورشليم المقدّسة. فهم ليسوا الأساس بل مربوطون به، لأنّهم أوّل من علّم الحقائق المجيدة المختصّة بشخص المسيح والكنيسة. هذا ويلزم وضع **الأساس** للبناء مرة واحدة فقط؛ وقد فعل **الرسل والأنبياء** هذا الأمر مرّة واحدة وإلى الأبد. ومع أنّهم ليسوا معنا الآن بالجسد، فقد حُفظ لنا **الأساس** الذي وضعوه في كتابات العهد الجديد. وتحتمل الكلمتان **الرسل والأنبياء** معنًى جانبيًّا وبحسبه يمكننا أن نجد رجالاً في كلّ العصور كانت خدمتهم خدمة رسوليّة أو نبويّة. ويمكن اعتبار المرسلين ومؤسسي الكنائس رسلاً بالمعنى الجانبيّ للكلمة، أمّا الذين يكرزون بالكلمة للبنيان فيُعتبرون

أنبيــاء، بالمعنى عينه. لكنّهم في جميع الأحوال ليســوا رسلاً وأنبياء بالمعنى الأساسي للكلمة.

إنّ **يسوع المسيح ليس فقط أساس الهيكل بل هو حجر الزاوية أيضًا**. هذا وتعجز كلّ الصور والرموز عن أن تظهره بشــكل كامل في مجده المتنوّع وخدمته المتعدّدة الأشــكال. وهنــاك على الأقــلّ طرق ثلاثــة محتملة لتفســير التعبير **حجر الزاوية**؛ وجميعها تشــير إلى الربّ يسوع المسيح بوصفه رأس الكنيسة الأساسي والوحيد المتقدّم في كل شيء والذي لا غنى عنه البتّة.

١ـ إنّ الاعتقــاد الســائد هــو أنّ **حجــر الزاوية** هو الحجر الذي يقع في أســفل إحدى الزوايا لبناية ما. وبما أنّ باقي أجــزاء البناء تعتمد عليه، فقد أصبحت له أهميّة تأسيسيّة كبرى. وبهذا المعنى يشــكّل **حجر الزاوية** رمزًا للربّ يســوع. وبما أنّه يجمع حائطين أحدهما مــع الآخر، فهناك ما يوحي بأن هذا يرمز إلى اتّحاد المؤمنين من اليهود والأمم في الكنيسة من خلاله هو له المجد.

٢ـ يعتقــد بعض دارســي الكتاب المقــدس أنّ الكلمة المترجمة **حجر الزاوية** تشــير إلى الحجر الرئيســي في القنطرة. ويحتلّ هذا الحجر أعلى مكان في القنطرة ويؤمّــن الدعــم لباقــي الأحجار. وهكــذا يكون المســيح المتقدّم في الكنيســة وحجر الأساس الذي إذا رفعته من الوسط إنهار باقي البناء من تحته.

٣ـ أمّا الاحتمال الثالث لتفســير العبارة فهو الذي يعتبرها كإشــارة إلى حجر القمّة في الهرم. فهذا الحجــر يحتلّ أعلى مركــز في البناء الهرمي؛ وهو حجر فريد من حيث حجمه وشكله. فإنّ زواياه تحدّد شــكل الهرم بكامله. وهكذا المســيح هو رأس الكنيســة. فهو فريد في شخصه وخدمته. وهو الــذي يُعطي الكنيســة خصائصها الفريدة كما يوفّر لها أوّلاً **الأساس**.

**٢: ٢١** ترجع عبارة **الذي فيه** إلى المسيح، فهو مصدر حياة الكنيسة ونموّها. ويقول بلايكي *Blaikie* في هذا المجال:

> فيه تتمّ إضافتنا إلى الكنيســة؛ وفيه ننمو فيها؛
> وفيه كلّ الهيكل ينمو نحو تمام الكمال، عندما يُبرَز
> حجر الزاوية بين الهاتفين «كرامة كرامة له».

أمّا عبارة **كلّ البناء مُركّبًا معًا** فتشير إلى وحدة الهيكل وتناظُره. وهي وحدة مؤلّفة من أفراد كثيرين، أعضاء الجســد الواحد. ولكلّ عضــوٍ مكان معــيّن في البناء يناســبه تمامًا. وهكذا نجد الحجارة، التي تمّ استخراجها من وادي الموت، بنعمــة الله تتراصف تمامًا إحداها مع الأخرى. أمّا الميّزة الرئيســيّة لهذا البناء فهي أنّه **ينمو**. ولكــنّ هذا النمــوّ ليس كذاك الذي ينتــج عن إضافة الحجارة والأسمنت. بــل يجب أن نفهمه كما نفهم نموّ الأجســام الحيّة كجسم الإنسان. فإنّ الكنيسة ليست بناءً جامدًا، ولا منظّمة جافّة، لكنّها كيان حيويّ حيث المســيح هو الرأس والمؤمنون يشــكّلون الجسد. وقد وُلدت الكنيسة يوم الخمسين، وما تزال تنمو منذ ذلك الوقت، وسيستمرّ نموّها حتى يوم الاختطاف.

هذا البناء النامــي المؤلّف من مواد حيّة يوصف بأنه **هيكل مقدس في الرب**. ويســتخدم بولس في إشــارته إلى الهيكل الكلمة التي تعني المحراب الداخلي وليس الساحة الخارجيّــة (*naos* باليونانيّــة)، ليس الــدار الخارجيّة بل القُدس. فهو كان يفكّر في البناء الرئيسي للهيكل الذي كان يحــوي قــدس الأقداس، إذ هناك كان الله يســكن، وهناك أظهر نفسه في سحابة مجد بهيّة برّاقة.

لنا عدّة دروس في ما سبق: (١) أنّ الله يسكن في الكنيسة، والمخلّصون من الأمم واليهود يشكّلون مَقدسًا حيًّا يسكن الله فيه ويُظهر فيه مجده. (٢) هذا **الهيكل** هو **مقدّس**، فهو مفصول عن العالم ومكرّس لله لمقاصد مقدّسة. (٣) إنّ الكنيسة، بما أنّها **هيكل مقدّس**، هي المركز الذي يصعد منه التسبيح والعبادة والحمد لله في الربّ يسوع المسيح.

ويضيف بولس إلى وصفه لهذا **الهيكل** المقدّس أنّه **في الربّ**. وهذا يعني أنّ الربّ يسوع هو مصدر القداسة فيه. فأعضاؤه مقدّسون من حيث المقام لاتّحادهم به؛ وعليهم أن يكونوا قدّيسين عمليًّا من محبّتهم له.

**٢: ٢٢** ونجد في هذا الهيكل المجيد أنّ للمؤمنين الطالعين من الأمم مكانًا متساويًا مع ذلك الذي لليهود. وليس غريبًا أن نندهش عند قراءتنا لهذا الأمر كما اندهش الأفسسيّون ومَن معهم عندما سمعوا هذا الخبر أوّلَ مرّة. فأن يشكل المؤمنون **مسكنًا لله بالروح** لهو تعبير عن عظمة مركزهم وشرفه. وهذا هو القصد من الهيكل، أن يؤمّن المكان الذي فيه يستطيع الله أن يُقيم له شركة مع شعبه. والكنيسة هي ذلك المكان. وإذا قارنّا هذا بمركز الأمم في العهد القديم نجد أنّه في ذلك الوقت لم يكن باستطاعتهم أن يقتربوا من مسكن الله، أمّا الآن فها هم يشكّلون بأنفسهم قسمًا كبيرًا منه.

ولنلاحظ خدمة كل أُقنوم من أقانيم الثالوث الأقدس بالنسبة للكنيسة: (١) **الذي فيه**، أي في المسيح. فبالاتّحاد معه نصبح مبنيّين في الهيكل. (٢) **مسكنًا لله**. هذا الهيكل هو بيت الله الآب على الأرض. (٣) **في الروح**. الله يسكن في الكنيسة في شخص الروح القدس (١كو ٣: ١٦).

وهكذا فإنّ الأصحاح الذي بدأ يوصف الأمم الذين كانوا أمواتًا، فاسدين، أشرارًا، وعصاة، ينتهي بهؤلاء الأمم أنفسهم مطهّرين من كلّ ذنب ونجاسة، ومشكّلين **مسكنًا لله في الروح**!

### و. فقرة اعتراضية عن «السرّ» (٣: ١-١٣)

**٣: ١** يبتدئ بولس حديثًا في الآية الأولى يقطعه في الآية الثانية ولا يتابعه حتى الآية الرابعة عشر. أمّا الآيات المتوسّطة فتشكّل فقرة معترضة موضوعها السرّ: المسيح والكنيسة.

وما يُكسب هذا الأمر أهميّته الخاصّة هو أنّ عصر الكنيسة الحالي هو اعتراضي في معاملات الله. ويمكن تفسير هذا الأمر كالتالي: كان الله، خلال معظم الفترة المدوّنة في العهد القديم، يتعامل بشكل رئيسي مع اليهود. ففي الواقع تركّز الأخبار الكتابيّة، بدءًا من تكوين ١٢ حتى ملاخي ٤، وبشكل شبه قطعي، على إبراهيم ونسله. ولمّا جاء الربّ يسوع إلى الأرض رُفض من قِبَل بَني شعبه. نتيجةً لذلك نحّى الله هذه الأمّة جانبًا بشكلٍ وقتي بوصفها شعبه الأرضيّ المختار. وإنّنا الآن نعيش في عصر الكنيسة، حيث يتساوى اليهود والأمم أمام الله. لكن بعد اكتمال الكنيسة واختطافها إلى السماء، سيستأنف الله برنامجه مع الأمّة القديمة. إذ ذاك تعود عقارب الساعة النبويّة إلى الدوران من جديد. إذًا فالعصر الحاضر هو نوع من الفترة المعترضة بين معاملات الله السابقة مع الأمّة القديمة ومعاملاته المستقبليّة معها. وهو تدبير جديد في خطّة الله، ينفرد ويختلف عن كلّ ما سبقه وعن كلّ ما سيتبعه أيضًا.

ويعطي بولس في الآيات ٢-١٣ شرحًا وافيًا لهذه الفترة المعترضة. وهل هو من قبيل المصادفة أن يستخدم الرسول

معترضة أدبيّة في معرض شرحه لمعترضة تدبيريّة؟

يفتتح الرسول بولس هذا الجزء بقوله: **بسبب هذا أنا بولس أسير المسيح يسوع لأجلكم أيها الأمم**. وترجع العبارة **بسبب هذا** إلى مقام الامتياز الذي أُدخل إليه الأمم نتيجة اتّحادهم بالمسيح كما سبق الرسول فذكر.

ويسود الاعتقاد بأنّ بولس كتب هذه الرسالة خلال سجنه الأوّل في روما. لكنّ الرسول لا يذكر أنّه أسير روما، لأنّه لو كتب ذلك لأظهر نوعًا من الهزيمة وشعورًا بالشفقة على النفس أو ترجيًّا للعزاء. لكنّ بولس يدعو نفسه **أسير المسيح يسوع**، وهذا يشير إلى الاكتفاء والعزّة والانتصار. وتضع الكاتبة روث باكسون *Ruth Paxson* هذه الفكرة في قالب جميل فتقول:

> لا رائحة للسجن في رسالة أفسس، لأنّ روح بولس هي بلا قيود. فهو موجود هناك أسيرًا لروما، ولكنّه لا يعترف بذلك ويعتبر أنّه أسير يسوع المسيح. فما هو سرّ هذه الروح غير العاليّة المنتصرة؟ السرّ هو أنّ روح بولس موجودة في السماويّات مع المسيح، بالرغم من كون جسده في السجن.

أمّا سجنه فكان **لأجل الأمم**. فقد واجه الرسول خلال خدمته مقاومة شديدة بسبب تعليمه القائل بأنّ المؤمنين من الأمم يتمتّعون في الكنيسة المسيحيّة بالحقوق والامتيازات عينها التي يتمتّع بها المؤمنون من اليهود. والذي أدّى أخيرًا إلى اعتقاله ومحاكمته أمام قيصر ما كان إلاّ التهمة الباطلة التي وُجّهت إليه بأنّه أدخل تروفيمس الأفسسي معه إلى مكان من الهيكل محرّم دخوله على الأمم (أع ٢١: ٢٩). لكن كانت تختبئ خلف هذه التهمة الباطلة روح العداوة الشرسة التي أوغرت صدور رجال الدين اليهود.

**٣: ٢** يقطع الرسول بولس الآن حبل تفكيره ليبدأ حديثًا عن السرّ الذي سبق فأشرنا إليه أنّه مُعترضة أدبية تعالج موضوع المعترضة التدبيريّة.

وقد تولّد كلمة **إن** في الآية ٢ «**إن كنتم قد سمعتم...**» شعورًا بأنّ الأفسسيين لم يكونوا على علم بمهمّة الرسول الخاصة للأمم. وقد استُخدمت هذه الآية في بعض الأحيان لتبرهن أنّ بولس لم يكن يعرف الأشخاص الذين كان يكتب إليهم، لذلك لا يمكن أن تكون هذه الرسالة قد كُتبت للأفسسيّين الأحبّاء. لكن كلمة «إن» غالبًا ما تحمل معنى «بما إنّ». لذلك فإنّ الترجمة التفسيريّة تقول: «على اعتبار أنّكم قد سمعتم...» فقد علموا يقينًا أنّ هذه الخدمة الخاصّة كانت قد أوكلت إلى بولس. وهو يصف خدمته هذه بأنّها **تدبير نعمة الله**. وتعني الكلمة **تدبير** هنا، الوكالة المعطاة له. فالوكيل هو الشخص المعيّن لتدبير أمور شخص آخر. بهذا المعنى، كان بولس وكيل الله المكلّف إرساء الحقّ العظيم المختصّ بكنيسة العهد الجديد. أمّا هذه الوكالة فهي من **نعمة الله**، ويظهر هذا الشيء في نواحٍ ثلاث على الأقلّ:

١- بالنسبة إلى الشخص المختار. فقد كان اختيار بولس لامتياز عظيم كهذا بحسب النعمة الغنيّة غير المستحقّة.

٢- بالنسبة إلى محتوى الرسالة. فتلك كانت رسالة إحسان الله المجّاني الذي لا يستحقّه أحد من البشر.

٣- بالنسبة إلى الذين تسلّموا هذه الرسالة. فقد كان الأمم شعبًا غير مستحقّ لنعمة الله الغنيّة.

ومع هذا كلّه فقد أُعطيت هذه الوكالة لبولس لكي يمنحها هو بدوره للأمم.

**٣:٣** لم يتعلَّم الرسـول هذا السـرّ من أيّ إنسان آخر، ولا اكتشـفه بواسطة ذكائه الخاص. لكنه عُرِّف بالسرّ بواسـطة إعلان مباشـرة من الله. هذا ولا يخبرنا بولس أين وكيف حصل ذلك الأمر؛ فكلّ ما نعرفه هو أنَّ الله أظهر لبولس، بطريقة معجزيّة، مخطّطه المتعلّق بالكنيسة المؤلَّفة من المؤمنين من بين اليهود والأمم معًا. لقد سبق أن ذكرنا أنَّ السـرّ هو أمر مقـدَّس مكتوم لغاية الآن، ولا يمكن معرفته بحسب البشر، إنّما أُظهر الآن بواسطة إعلان إلهي. وكان الرسـول قد ألمح إلى السـرّ بشكل موجز في ١: ٩-١٤، ٢٢، ٢٣؛ ٢: ١١-٢٢.

**٣: ٤** إنَّ ما سـبق بولس فكتبه عن الموضوع يكفي لأن يُظهر لقرّائه أنَّ عنده بصيرة روحيّة من الله تتعلّق بسـرّ المسـيح. ويكتب بلايكي *Blaikie* صياغة تفسيريّة لهذا المقطع كما يلي:

> أمّا بالنسبة لما كتبته في السابق، ولكي أجعل هذا أكثر وضوحًا، فإنّي أرجع فأكتب عن الموضوع الآن بشكل أوسع، وذلك لكي تروا أنَّ الذي يعلّمكم عن هذا الأمر يلمّ بموضوع السرّ بشكل كامل.

وتوحي ترجمة داربي، «سـرّ المسيح»، بأنَّ المسيح المعنويّ هو المقصود هنا، أيّ الرأس والجسـد. (المكان الآخر المسـتخدم فيه اسم المسـيح للدلالة على الربّ وشعبه معًا هو في ١ كورنثوس ١٢: ١٢).

**٣: ٥** تعطينا الآيتان ٥ و٦ أكمل تعريف موجود للسرّ. ويشـرح بولس أوّلاً ما هو السرّ، ثمّ يشرح ما هو سرّ المسيح.

**أوّلاً، إنّه حقٌّ في أجيال أخر لم يُعرَّف به بنو البشـر.** وهذا يعني أنّه من العبث التفتيش عنه في العهد القديم. فقد تكـون هناك بعض الرموز أو الصـور عنه، إلاّ أنَّ الحقيقة نفسها كانت مخفيّة في ذلك الوقت.

ثانيًـا، **إنّه حقٌّ قد أُعلِن الآن بالروح القدس لأنبياء الله ورسـله القدّيسـين.** الله هو الذي أعلن هذا السرّ؛ والرسل والأنبيـاء هم الذين أُفرزوا لاسـتلام هـذا الإعلان؛ أمّا الروح القدس فهو القناة التي حملت هذا الإعلان إليهم.

وإذا لم نعتـبر أنَّ المقصـود هـو رسـل العهد الجديد وأنبياؤه لا رسـل العهد القديم وأنبيـاؤه، فإنَّ هذه الآية تنطـوي على تناقض واضح. فالجزء الأوّل منها يقول إنَّ هذا الحقّ لم يسـبق أن أُعلن في الأجيال السابقة، وبذلك كان غير معروف عنـد أنبياء العهد القديم، فكيف يمكن أن يكـون قـد عُرِّف بـه في أيّام بولس علـى أيدي أناس مضت قـرون على موتهـم؟ إنَّ المعنى الواضـح هو أنَّ الحق العظيم المختصّ بالمسـيح والكنيسـة قـد عُرِّف به أناس في زمن الكنيسـة ليخدموا الربّ ويكونوا الناطقين باسمه علـى الأرض مثل بولس الذي أرسـله الربّ المُقام خصوصًا لخدمة الأمم. (إنَّ بولس لا يدّعي كونه الوحيد الذي كُشف له هذا السـرّ المقدّس؛ فهو كان واحدًا بين كثيريـن، مع أنّه كان المتقدِّم في إيصال هذا الحقّ للأمم في أيّامه، وللأجيال التابعة من خلال رسائله).

إنّما من الضروري الإشـارة إلى أنَّ بعض المسـيحيّين ينحـون منحًى تفسـيريًّا يختلف عـن وجهـة النظر التي سـبق ذكرها. فهم يقولون إنَّ الكنيسـة كانت موجودة في العهـد القديـم؛ وإنَّ إسـرائيل كانت هي الكنيسـة حينذاك؛ وأمّا التعليم عن الكنيسـة فقد أصبح الآن مُعلَنًا بشـكل أكمل. وهم يقولون، "إنَّ السـرّ لم يكن معروفًا في عصـور أخـرى **كما** قد أعلـن الآن. كان هذا السـرّ معروفًا في السـابق ولكن ليس بالمقدار نفسـه كما الآن.

فـإنَّ لدينا الآن إعلانًا أكمل، لكنَّنا ما زلنا إسـرائيل الله، أي استمرارًا لشعب الله". وبغية دعم وجهة النظر هذه، يشير هؤلاء الدارسون إلى أعمال ٧: ٣٨، حيث تسمَّى أمَّة إسـرائيل بـ«الكنيسـة في البريَّة» (تستخدم ترجمات أخـرى كلمة الجماعة). ومع أنَّه صحيح أنَّ شـعب الله يُشـار إليه كالجماعة التي في البريَّة، إلاَّ أنَّ هذا لا يعني بأنَّ لديهم ارتباطًا بالكنيسة المسيحية. ففي الواقع أنَّ الكلمة اليونانية *ekklesia* هي تعبير عام قد يُقصد به الإشارة إلى أي جماعـة أو جمهور أو فريق مدعـوّ للتجمّع. هذا، ولا تسـتعمل هذه الكلمة للإشـارة إلى إسـرائيل في أعمال ٧: ٣٨ فقط، بل تُسـتخدم في أعمـال ١٩: ٣٢، ٤١ للإشـارة إلى تجمع وثنيّ، حيث تُرجمت باللَّفظة «محفل». لذلـك علينـا أن نحدِّد من سـياق الـكلام في النص هل المقصود هو «الكنيسة» أو الجماعة فقط.

لكن ماذا عن الحجة التي تقول بأنَّ الكنيسة، بحسب الآيـة ٥، كانت موجودة في العهد القديم، لكنَّها لم تكن مُعلنة في ذلك الوقـت كما قد أُعلنت الآن؟ هذا الأمر يُجاب عنه في كولوسـي ١: ٢٦، حيث يصرِّح الرسول بشـكل واضح بـأنَّ هذا السـر «مكتوم منـذ الدهور والأجيال، لكنَّه الآن قد أُظهر لقدِّيسـيه». فالمسـألة لا تتعلَّق بدرجة الإعلان بل بواقع الإعلان ذاته.

٣: ٦ نأتـي الآن إلى حقيقة السـرّ الجوهريَّة، ألا وهي أنَّ **الأمم** في كنيسـة الربّ يسـوع المسـيح هم **شـركاء في الميراث**، وشـركاء في عضويَّة الجسـد، وشـركاء في **نوال موعده في المسـيح بالإنجيل**. وبـكلام آخر، يتمتَّع المهتدون من الأمم الآن بالحقوق والامتيازات نفسـها التي يتمتَّع بها المهتدون من اليهود.

فهـم أوَّلاً، **شـركاء في الميراث**. فبالنسـبة للميراث هم يتسـاوون في الشركة مع اليهود، إذ هم ورثة الله، ووارثون مع المسيح يسوع، وشركاء في الميراث مع جميع المفديِّين.

ثمَّ إنَّهم شـركاء في **الجسـد** الواحـد. فهم الآن غير بعيدين أو مستبعَدين كما كانوا في السابق، بل يتساوون في المقام مع المخلَّصين من اليهود في الكنيسة الواحدة.

أخـيرًا، إنَّهـم شـركاء في **نـوال موعده في المسـيح بالإنجيـل**. وقـد يشـير الموعد هنا إلى الـروح القدس (أع١٥: ٨؛ غـل٣: ١٤)، أو قـد يحـوي كلّ ما هو موعود به في الإنجيل لجميع الذين هم في المسيح يسوع. فالأمم شركاء مع اليهود في هذه جميعها.

أمَّا في تدبـير العهد القديم فلم تكـن أيّ من هذه الحقائق موجودة، ولن تكون موجودة أيضًا في ملكوت المسيح الآتي.

كان للأُمة، في العهد القديم، مكانة خاصة وامتياز خاص أمام الله. وكان من شـأن اليهودي أن يضحك علـى أيّ تفكير بأنَّ الأمي سيتشـارك معه بالتسـاوي في نـوال مواعيد الله. فهذا النوع مـن التفكير لم يكن واردًا ولا صحيحًا قطّ. أمَّا أنبياء إسـرائيل فقد تنبَّأوا عن دعوة الأمـم (إش٤٩: ٦؛ ٥٦: ٦، ٧)، لكنَّهم لم يشـيروا، ولا في أي مكان، إلى أنَّ الأمم سيتشـاركون معهم في جسد ليس لليهود فيه أيَّة أولويَّة أو امتياز.

لكنَّ إسـرائيل المُفتداة في ملكوت المسـيح الآتي ستكون رأس الأمم جميعها (إش٦٠: ٢٢)؛ وسيتبارك الأمـم أيضًا حينـذاك، ولكنَّ هذه البركة سـتأتي من خلال إسرائيل (إش٦٠: ٣؛ ٦١: ٦؛ زك٨: ٢٣).

كانـت دعوة إسـرائيل الرئيسـيَّة هـي للبركات الأرضيَّـة الزمنيَّة، مـع أنَّ هذا ليس بشـكل حصري

(تث٢٨؛ عا٩: ١٣-١٥). أمّا دعوة الكنيسة فهي بشكلٍ رئيسيٍّ للبركات الروحيّة في السماويّات (أف١: ٣). دعوة إسرائيل كانت لأن يكونوا شعب الله الأرضيّ المختار. أمّا الكنيسة فهي مدعوّة لتكون عروس المسيح السماوية (رؤ٢١: ٢، ٩). إسرائيل ستحصل على البركة في ظل حكم المسيح في الملك الألفي (هو٣: ٥)؛ في حين أن الكنيسة ستملك معه على العالم كله وتشاركه في مجده (أف١: ٢٢،٢٣).

لذلك يجب أن يكون واضحًا لدينا أنّ هناك تمييزًا في الكتاب بين الكنيسة وإسرائيل والملكوت. فالكنيسة مجتمع جديد وجماعة فريدة، وهي جسد مكوّن من المؤمنين والذي يتمتّع بأكثر الامتيازات في الكتاب المقدس. وقد وُجدت الكنيسة بعد صعود المسيح وانسكاب الروح القدس (أع٢). وتشكّلت من طريق معمودية الروح القدس (١كو١٢: ١٣)، وستكتمل في الاختطاف عندما يؤخذ جميع الذين ينتمون للمسيح إلى السماء، موطنهم (١تس٤: ١٣-١٨؛ ١كو١٥: ٢٣، ٥١-٥٨).

**٣: ٧** بعد أن ركّز بولس على تساوي اليهود والأمم بالشركة في الكنيسة، ها هو ينتقل الآن للبحث في خدمته الخاصة المتعلّقة بهذا الأمر (٧-٩).

أوّلاً، **لقد صار خادمًا للإنجيل.** ويكتب ويست *Wuest* قائلاً: "إنّ كلمة خادم (بالإنجليزيّة *minister*) قد تخدعنا، لأنّها اللّفظة التي تُستخدم في أيّامنا هذه للإشارة إلى راعٍ مُعيّنٍ في كنيسة". لكنّها لم تعنِ ذلك قطّ في كتاب العهد الجديد. فالمعنى الأساسي للكلمة هو الخادم بمعنى عبد (بالإنجليزيّة *servant*)؛ ويعني بولس هنا، بكلّ بساطة، أنّه خدم الربّ في ما يتعلّق بهذا السرّ.

وكانت خدمته بطبيعتها عطيّة غير مستحقّة: **حسب موهبة نعمة الله المعطاة لي.** وهي لم تكن تعبيرًا عن **نعمة الله** فقط، بل بيّنت قوّة الله أيضًا التي وصلت إلى الفرّيسي المتكبّر البار في عيني نفسه، وخلّصته وجعلته رسولاً مقوّية إيّاه ليستلم الإعلانات ومشدّدة إياه لعمل الخدمة. لذلك يقول بولس إنّ الموهبة أُعطيت له **حسب فعل قوّته** (قوّة الله).

**٣: ٨** يتحدّث الرسول عن نفسه فيقول إنّه **أصغر جميع القديسين.** وقد يبدو هذا أنّه تظاهُر بالتواضع، لكنّه بالحقيقة يُعبّر عن قيمة النفس الحقيقيّة عند إنسان مملوء من روح الله. فكلّ من يرى المسيح في مجده يتحقّق من طبيعته الخاطئة وعدم نفعه. أمّا بالنسبة لبولس فتُضاف الذكريات بأنّه اضطهد الربّ يسوع (أع٩: ٤) من خلال اضطهاده لكنيسة الله الحيّ (غل١: ١٣؛ في٣: ٦). لكن مع هذا كلّه فقد أرسله الربّ في مهمّة خاصّة فريدة ليحمل الإنجيل إلى الأمم (أع٩: ١٥؛ ١٣: ٤٧؛ ٢٢: ٢١؛ غل٢: ٢،٨). فقد كان بولس رسول الأمم كما كان بطرس رسولاً إلى اليهود. وكانت خدمته مزدوجة، فهي كانت تتعلّق بالإنجيل أولاً، وبالكنيسة ثانيًا. فقد أخبر الناس أوّلاً كيف يحصلون على الخلاص، وعرّفهم بعد ذلك حقيقة كنيسة العهد الجديد. لم يكن التبشير بالنسبة له غاية بحدّ ذاته بل خطوة أولى على طريق تأسيسه وتقويته لكنائس محليّة تتبع تعليم العهد الجديد.

أمّا الأمر الأوّل الذي يتعلّق بخدمة بولس فكان أن **يبشّر بين الأمم بغنى المسيح الذي لا يستقصى.** ويقول بلايكي *Blaikie* معلّقًا على ذلك:

**غنى، ولا يستقصى**؛ عبارتان جذّابتان توحيان بأنّ أكثر الأشياء ثمنًا هي الآن متوافرة بشكل غير محدود. فقد جرت العادة على أن تكون الأشياء الثمينة نادرة الوجود؛ كما أنّ قلّة وجودها تسبّب الارتفاع في سعرها؛ أمّا هنا فإنّ الذي لا يثمّن بمال الأرض متوافرًا أيضًا بلا حدود؛ حدّث بلا حرج عن غنى الرأفة والمحبّة والاستحقاق والتقديس وقوّة التعزية والتغيير، فهي كلّها بلا حدود وقادرة على إشباع كلّ احتياج وشهوة واشتياق القلب، الآن وإلى الأبد.

عندما يضع إنسان ثقته بالربّ يسوع ففي الحال يصبح مليارديرًا روحيًّا؛ إذ إنّه يمتلك في المسيح ثروات لا تنفد.

**٣: ٩** أمّا الجزء الثاني من خدمة بولس فكان أن **يُنير الجميع في ما هو تدبير السّر** (بحسب ترجمة داربي وحاشية الكتاب ذي الشواهد)، أو بكلام آخر أن يعرّفهم كيفيّة ترجمة هذا السر في الحياة العمليّة. إنّ مخطّط الله في الوقت الحاضر هو أن يدعو من بين الأمم شعبًا على اسمه (أع١٥: ١٤)، عروسًا لابنه الحبيب. وكلّ ما ينطوي عليه هذا المخطّط، ما هو إلاّ تدبير (وكالة بحسب بعض الترجمات) السرّ. ولا شكّ أنّ كلمة **الجميع** هنا تشير إلى جميع المؤمنين. فغير المخلّصين ليس باستطاعتهم فهم الحقائق العميقة التي تتعلّق بالسر (١كو٢: ١٤). لذلك يستخدم بولس هنا الكلمة **جميع** ليشير إلى جميع المخلّصين من كل الفئات؛ من يهود وأمم، وعبيد وأحرار.

على أنّ هذا **السرّ** كان مكتومًا منذ الدهور في الله. فالمخطّط نفسه كان في فكر الله منذ الأزل قبل الزمان، لكنّ الفكرة هنا هي أنّه حفظه مكتومًا على مدى الدهور التي مرّت على تاريخ البشريّة.

ونلاحظ مرّة أخرى كيف أنّ الروح القدس يحرص على إثارة الدهشة فينا إذ يُعلمنا بأنّ الجماعة، أو الكنيسة الشاملة، هي شيء جديد وفريد لا مثيل له من قبل. فهي لم تكن معروفة عند أحد من قبل، إذ لم يكن يعرفها إلاّ الله وحده. أمّا السرّ فكان **مكتومًا في الله خالق الجميع**. فهو خلق العالم المادّي، وخلق الدهور أيضًا وخلق الكنيسة لكنّه قرّر في حكمته ألاّ يعرف أحدًا بهذه الخليقة الجديدة حتى زمن مجيء الربّ يسوع المسيح أوّل مرّة.

**٣: ١٠** إنّ واحدًا من مقاصد الله المتعلّقة بالسّر هو أن يُظهر **حكمته** المتنوّعة لجيش الملائكة في السماويّات. هذا ويستخدم بولس مرّة أخرى استعارة المدرسة. فالله هو المعلّم والعالَم هو المدرسة؛ أمّا **الرؤساء والسلاطين** فهم التلاميذ. وموضوع الدّرس هو «**حكمة الله المتنوّعة**». **والكنيسة** هي الدرس العيانيّ. فالملائكة من السماء لا يسعها إلاّ أن تنظر بإعجاب إلى حكمته التي لا تُستقصى وتندهش لطُرقه التي لا يُمكن حصرها. فهم يشاهدون كيف انتصر الله على الخطيّة لمجد اسمه، ويرون كيف أرسل العلي أفضل مَن في السماء لأجل أسوإ من هم على الأرض. ثمّ ينظرون أيضًا كيف أنّه افتدى أعداءه بثمن عظيم، وربحهم بمحبّته الكريمة، وهيّأهم عروسًا لابنه الحبيب. وهم ينظرون كيف باركهم أيضًا بكلّ بركة روحيّة في السماويّات، وكيف أنّه بواسطة عمل الربّ يسوع على الصليب قد ازداد المجد لله وازدادت البركات للمؤمنين من اليهود والأمم أكثر بكثير ممّا كان لو أنّه لم يُسمح للخطيّة بالدخول إلى العالم. فالله تبرّر، والمسيح تمجّد، والشيطان انهزم، والكنيسة أُجلست في المسيح لتشاركه في أمجاده المكتسبة.

**٣: ١١** ثمّ إنّ السر وكتمانه وإعلانه النهائي والطريقة التي فيها يُظهر حكمة الله، كلّها أشياء مقرّرة **حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربّنا**. فقبل أن يُخلَق العالم عرف الله أنّ الشيطان سيسقط وسيتبعه الإنسان في الخطيّة؛ لذلك أعدّ سَلَفًا إستراتيجيّة معاكسة وخطة رئيسيّة. وقد تمّ تنفيذ هذه الخطّة بواسطة عمليّة تجسّد المسيح وموته وقيامته وصعوده وتمجيده. فكل البرنامج يتركز في المسيح وقد تحقق من خلاله. والآن أصبح ممكنًا أن يخلّص الله الأشرار، إنْ من اليهود أو من الأمم، وأن يجعلهم أعضاء في جسد المسيح، ويصيّرهم مشابهين صورة ابنه، ويكرّمهم بشكل فريد لمدى الأبديّة بجعلهم عروس الخروف المجيدة.

**٣: ١٢** ثم إنّنا نتمتّع الآن، نتيجة لعمل المسيح واتّحادنا به، بالامتياز العظيم الذي يؤهّلنا للدخول إلى محضر الله في كلّ حين، ولنا الثقة الكاملة بأنّه يسمع لنا، دون خوف من التعيير أو التوبيخ (يع١: ٥). فإنّ **جراءتنا** هذه هي موقف الاحترام الخالي من الخوف الذي نكنّه للآب السماوي كأولادٍ يتوجّهون إلى أبيهم. أمّا حقّ **الدخول** «أو **القدوم**» فهو الحريّة التي لنا في التحدّث إلى الله بالصلاة. **وثقتنا** هي التأكيد الذي عندنا من جهة قبولنا لديه واستماعه لنا واستجابته لنا بحكمة ومحبّة كاملة. وهذا كلّه يتمّ **بإيمانه**، أي بإيماننا بالربّ يسوع المسيح.

**٣: ١٣** إنّ بولس، في ضوء شرف خدمته العظيم والنتائج الكبيرة التي آلت إليها هذه الخدمة، يشجّع القدّيسين على ألاّ يكلّوا عندما يفتكرون في آلامه. فهو كان مسرورًا في معاناته **للشدائد** التي رافقت تتميم إرساليّته للأمم. وعوضًا عن الكلل من جرّاء الضيقات كان وكأنه يقول لهم "افتخروا بأني حُسبت أهلاً للتألّم من أجل المسيح". فهم يجب أن يفرحوا عندما يفكّرون بالفوائد التي تأتت عن **شدائده**، لهم وللآخرين من أهل الأمم الذين آمنوا. ويجب أن ينظروا إلى سجنه الحاضر على أنّه **مجد** وليس عارًا على الإطلاق.

### ز. صلاة بولس لأجل القديسين (٣: ١٤-١٩)

**٣: ١٤** ها إنّ الرسول بولس يرجع الآن إلى الفكرة التي كان قد بدأها في الآية الأولى، بعدما قطعها بمقطع اعتراضي عن السرّ. لذلك فإنّ شبه الجملة **بسبب هذا** ترجع إلى الأصحاح الثاني الذي يصف حالة الأمم بحسب الطبيعة وما أصبحوا عليه نتيجة لاتّحادهم بالمسيح. فارتقاؤهم هذا من الفقر والموت إلى الغنى والمجد، جعل بولس يصلّي من أجلهم كي يستمرّوا في العيش متمتّعين بمركزهم المجيد في المسيح.

أمّا وضعيّته في الصلاة فهي محدّدة بالكلمات التالية، **احني ركبتيّ**. وهذا لا يعني أنّ الركوع هو الوضعيّة الدائمة للجسد، مع أنّه يجب أن يكون وضعيّة النفس باستمرار. فقد نصلّي ونحن في حالة المشي أو الجلوس أو الاتّكاء، لكنّ أرواحنا يجب أن تنحني بتواضع واحترام أمام الله.

إنّ صلاة بولس موجّهة إلى الآب السماوي. والله، بشكل عام، هو أب لكلّ البشر، بمعنى أنّه خالقهم (أع١٧: ٢٨، ٢٩). لكنّه، بشكل أكثر حصرًا، أب لكلّ المؤمنين، أي أنّه ولدهم في عائلته الروحيّة (غل٤: ٦). أمّا المعنى الخاص فهو **أبو ربّنا يسوع المسيح**، أي أنّهما متساويان معًا (يو٥: ١٨).

**٣: ١٥** والدور الخاص الذي يفكّر به بولس من جهة الآب هو أنّه **الذي منه تُسمّى كل عشيرة في السماء وعلى الأرض**. وقد يعني هذا:

١ـ أنّ كلّ المفديّين في السماء وعلى الأرض ينظرون إليه باعتباره ربّ العائلة.

٢ـ أنّ كلّ الخلائق، الملائكيّة والبشريّة، مديونة له بوجودها، ليس فقط كأفراد بل كعائلات أيضًا. وتشمل العشائر التي في السماوات مختلف درجات المخلوقات الملائكيّة، فيما تشمل العشائر التي على الأرض مختلف الأجناس التي تفرّعت من نوح وتقسّمت الآن إلى الأمم المختلفة.

٣ـ أنّ كلّ أبوّة في العالم تكتسب اسمها منه. إذ إنّ أبوّة الآب هي الأصليّة والمثاليّة؛ وهي النموذج الأساسي لكلّ علاقة أبويّة أخرى. وتورد الترجمة التفسيريّة هذه الآية على الشكل التالي: "الذي هو أصل كلّ أبوّة في السماوات وعلى الأرض".

**٣: ١٦** لا يمكننا إلاّ أن نُفاجأ بعظم الطلب الذي يصلّي بولس لأجله: ما دام **بحسب غنى الله في المجد**؛ فهو مزمع أن يسأل الله أن يمنح القدّيسين التأييد بالقوّة الروحيّة. لكن إلى أيّ مدى يريدهم أن يتقوّوا؟ ويجيب جاميسون وفوسيت وبراون *Jamieson, Fausset & Brown* في تفسيرهم قائلين: "بوفرة كما يليق بغناه في المجد؛ وليس بحسب قلوبنا الضيّقة". يشير الوعّاظ عادة إلى التباين القائم بين التعبير "من غناه"، والتعبير "بحسب غناه". فالشخص الغني قد يُعطي كمية بسيطة؛ ويكون هذا "من غناه"، لكن ليس بما يتناسب مع غناه؛ أما بولس فيسأل الله هنا أن يعطي القوّة بما يتناسب مع غناه في الكمالات. وبما أنّه لا حدود لغنى الربّ في المجد، فليتحضّر القدّيسون لفيضان القوّة! فلماذا نطلب القليل من لدن ملك عظيم كهذا؟ عندما طلب أحدهم من نابليون خدمة عظيمة استجيب طلبه في الحال، لأنّ نابليون قال: «لقد كرّمني هذا بعظم طلبه».

إذا قصدتَ الملك السميع
حاملاً معك الطلب الرفيع
فنعمة الملك القوي القدير
يصغر عندها السؤال الكبير

*جون نيوتن John Newton*

نأتي الآن إلى طلبات بولس المحدّدة. وتتسلسل هذه الطلبات بحيث تشكّل كلّ واحدة منها الأساس للطلبة التي تتبعها؛ لذلك يجب ألاّ ننظر إليها كسلسلة طلبات لا ارتباط لها بعضها ببعض. وباستطاعتنا أن نتصوّرها كهرم بحيث تشكّل الطلبة الأولى قاعدة الهرم الأساسيّة؛ وكلّما تقدّمت الصلاة اتّجه بولس في بنائه نحو ذروة مجيدة.

أمّا الطلبة الأولى فهي أن **يتأيّدوا بالقوّة بروحه في الإنسان الباطن**. والبركة المطلوبة هنا هي القوّة الروحيّة. لكنّها ليست القوّة اللازمة لصنع المعجزات، بل العزم الروحي اللازم لنكون مسيحيّين ناضجين وحكماء وثابتين. والروح القدس هو الذي يمنح هذه القوّة؛ لكن من الطبيعي أنّه يمنحنا القوّة فقط عندما نتغذّى بكلمة الله، ونستنشق هواء الصلاة النقي، ونتدرّب ونتمرّس بالخدمة اليوميّة للربّ.

وتُختبر هذه القوة **في الإنسان الباطن**، أي في الجزء الروحي من كياننا. فالإنسان الباطن هو الذي يُسرّ بناموس الله (رو٧: ٢٢)؛ والإنسان الباطن هو الذي يتجدّد يومًا فيومًا، في الوقت الذي فيه يفنى الإنسان الخارجي (٢كو٤: ١٦). ومع أنّ إنساننا الباطن هو من الله، فهو بحاجة إلى القوّة والنموّ والتطوير.

**٣: ١٧ والخطوة الثانية هي أن يحلّ المسيح بالإيمان في قلوبكم.** وهذه هي نتيجة عمليّة التقوية التي يقوم بها الروح القدس: فإننا نتقوّى به **ليحلّ المسيح بالإيمان** في قلوبنا. والمسيح، في الواقع، يُقيم منزله الشخصي في حياة المؤمن لحظة اهتدائه (يو١٤: ٢٣؛ رؤ٣: ٢٠). لكنّ ذلك ليس موضوع هذه الصلاة. فالمسألة هنا ليست مسألة وجوده في حياة المؤمن بقدر ما هي مسألة شعوره بالراحة هناك كما يشعر في بيته! فهو مقيم دائم في حياة كلّ مؤمن، لكنّ هذه الطلبة هي لأن يُسمح له بالدخول إلى كلّ الغرف والخزانات؛ وأن يتمتّع بالشركة غير المنقطعة مع المؤمن. وهكذا يغدو القلب المسيحي بيتَ المسيح، والمكان الذي يحبّ أن يكون فيه، مثل بيت مريم ومرثا ولعازر في بيت عنيا. إنّ القلب يعني بالطبع مركز الحياة الروحية؛ فهو يتحكّم بالتصرّف على اختلاف أنواعه. ويصلّي الرسول هنا أن تمتد ربوبيّة المسيح لتشمل: الكتب التي نقرأها، والأعمال التي نعملها، والطعام الذي نأكله، والمال الذي نصرفه، والكلمات التي نتكلّم بها؛ وبكلمة مختصرة: أن تشمل ربوبيّته أصغر التفاصيل في حياة كلّ منّا.

وكلّما تقوّينا بالروح القدس، ازددنا مشابهةً لصورة الربّ يسوع. وكلّما صرنا مشابهين له، استقرّ في قلوبنا وشعر بأنّه مقيم في بيته تمامًا.

أمّا الطريقة التي بها نتمتّع بسكناه فينا فهي **بالإيمان**. وهذا يستلزم اتّكالاً مستمرًا عليه وتسليمًا مستمرًا لمشيئته واعترافًا بحقّه بالاستراحة في بيوت قلوبنا. فبالإيمان وحده نستطيع أن "نختبر حضوره"، كما جاء في تعبير الأخ لورانس *Lawrence*.

شملت صلاة بولس حتّى هذه النقطة كل أقنوم من أقانيم الثالوث الأقدس. فقد سأل بولس **الآب** (ع١٤) السماويّ أن يقوّي المؤمنين، وذلك **بروحه** (ع١٦)، ليتمتّع **المسيح في قلوبهم** بحريّة الحركة المطلقة كما في بيته (ع١٧). وأحد الامتيازات العظيمة التي للصلاة هي أن نستطيع تحويل قوّة الإله الأزلي إلى العمل لخيرنا وخير الآخرين.

ثمّ إنّ نتيجة دخول المسيح غير المشروط إلى كلّ غرفة هي أن يغدو المسيحي **متأصّلاً ومتأسّسًا في المحبّة**. وها هو بولس يستخدم هنا اصطلاحات من عالم النبات وعالم البناء. فجذور النباتات توفّر لها الغذاء والمتانة. أمّا العمل الأساسي في البناء فهو إرساء القاعدة التي يرتكز عليها. وكما يقول سكروجي *Scroggie*: "المحبّة هي التربة التي ينبغي أن تتأصّل فيها جذور حياتنا؛ وهي الصخرة التي يجب أن يرتكز عليها إيماننا باستمرار". فأن نكون **متأصّلين ومتأسّسين في المحبّة** معناه أن تكون المحبّة قد تثبّتت فينا كأسلوب حياة مستديم. وحياة المحبّة هي حياة اللطف وإنكار الذات والانكسار والتواضع. وهي حياة المسيح التي أصبحت ظاهرة في المؤمن (١كو١٣: ٤-٧).

**٣: ١٨** لقد أبرزت الطلبات السابقة مخطّط النموّ الروحي الذي يهيّئ أولاد الله لكي يستوعبوا بالتمام، **مع جميع القدّيسين، ما هو الطول والعرض والعمق والعلو.**

وقبل التطرّق إلى المقاييس، لننتبه إلى العبارة **مع جميع القدّيسين**. فإنّ الموضوع، على الأرجح، واسع بحيث لا يستطيع مؤمن واحد أن يستوعب سوى جزء بسيط منه. لذلك كانت الحاجة مُلحّة إلى الدراسة والبحث والمشاركة مع الآخرين. فالروح القدس يستطيع أن يستخدم الأبحاث المشتركة لفريق من المؤمنين المدرّبين لكي يلقي فيضًا من النور الإضافي على كلمة الله المقدّسة.

أمّا المقاييس فهي ترجع عمومًا إلى محبّة المسيح، مع أنّ النصّ لا يشير إلى ذلك صراحة. فمحبّة المسيح مذكورة بشكل منفصل في الجملة التابعة. وإذا كانت محبّة المسيح هي المقصودة، فالارتباط بينها وبين المقاييس يمكن أن يظهر على الشكل التالي:

العرض — العالم (يو٣: ١٦)

الطول — إلى الأبد (١كو ١٣: ٨)

العمق— حتى الموت موت الصليب (في٢: ٨)

العلو — السماء (١يو ٣: ١، ٢)

ويعبّر ف.ب. ماير *F. B. Meyer* عن هذا الموضوع بشكل جيّد إذ يقول:

> سيبقى دائمًا مدى الأفق من أمامنا بقدر المدى الذي له من ورائنا. وبعد أن نكون قد نظرنا إلى وجه يسوع لآلاف السنين سيبقى جماله ناضرًا ومدهشًا ولا يُسبر غوره، تمامًا كما كان عندما رأيناه لأوّل مرّة عند باب الفردوس.

لكنّ هذه المقاييس قد ترجع أيضًا إلى السر الذي يحتلّ مركزًا بالغ الأهميّة في رسالة أفسس. ففي الواقع، يسهل إيجاد هذه المقاييس في النصّ نفسه:

١- يرد وصف **العرض** في ٢: ١١- ١٨. ويشير هناك إلى اتّساع نعمة الله بحيث تشمل خلاص اليهود والأمم، ثمّ إدماجهم معًا في الكنيسة. ويشمل السرّ قسمي البشريّة هذين معًا.

٢- أمّا **الطول** فيمتدّ من الأزل إلى الأبد. فالمؤمنون، بالنظر إلى الماضي، هم مختارون في المسيح قبل تأسيس العالم (١: ٤). أمّا بالنسبة للمستقبل، فالأبديّة كلّها ستكون إعلانًا مستمرًّا لغنى الله الذي لا يُستقصى ونعمته في اللطف علينا بالمسيح يسوع ربّنا (٢: ٧).

٣- ثمّ إنّنا نجد **العمق** موصوفًا بشكل واضح في ٢: ١-٣. فعندما كنّا غارقين في وهدة الخطيّة الشنيعة والفساد الكامل، جاء المسيح إلى أدغال الفساد والإثم لكي يموت عوضًا عن كلّ واحد منّا.

٤- ونرى **العلو** في ٢: ٦، حيث إنّنا لم نُقم مع المسيح فقط بل أُجلسنا معه أيضًا في عرشه في السماويّات لنشاركه في مجده.

إذًا هذه هي المقاييس التي تحكي عن عظمة - بل لانهائيّة - محبّة الله التي ظهرت في السرّ العظيم أيضًا. وعندما نفتكر فيها، "فكلّ ما يمكننا فعله"، بحسب قول سكروجي *Scroggie*، "هو أن نُلاحظ الحقائق الفائقة في خضمّ هذه الكلمات المقدّسة".

**٣: ١٩** أمّا الطلبة الأخرى التي يطلبها الرسول من جهة القدّيسين فهي أن يدركوا، اختباريًّا، **محبّة المسيح الفائقة المعرفة**. فهم لن يستطيعوا سبر غور تلك المحبّة بشكل كامل لأنّها بحر بلا شطوط، ولكن باستطاعتهم أن يتعلّموا عنها أكثر فأكثر وهم ينمون من يوم لآخر. لذلك فصلاة الرسول لهم تركّز على أن تكون لديهم معرفة عميقة واختباريّة للمحبّة العجيبة التي لربّنا العجيب، وأن يتمتّعوا بها بشكل كامل.

ونصل إلى ذروة هذه الصلاة عندما يقول بولس **لتمتلئوا إلى كلّ ملء الله**. هذا ويحلّ كلّ ملء اللاهوت في الربّ يسوع المسيح (كو٢: ٩). وكلّما ازداد حلوله في قلوبنا بالإيمان نزداد في الامتلاء إلى كلّ ملء الله. فإنّنا لن نمتلئ كليًّا بكل ملء الله، لكنّه الغرض الذي نسعى لأجله.

بعدما حاولنا شرح هذه الفكرة يجب أن نعترف بأنّ في المعنى هنا أعماقًا لم نستطع الوصول إليها. فعندما نتطرّق إلى الأسفار المقدّسة ندرك أنّنا نعالج حقائق أعظم من قدرتنا

على الفهم والشرح. ويمكننا أن نستخدم التوضيحات لتسليط الضوء على هذه الآية، فإذا غمسنا الكشتبان (قمع الخيّاط) في ماء المحيط يمتلئ، لكن ما أصغر نسبة ما يوجد في الكشتبان بالنسبة لمياه المحيط! فبعدما قلنا كلّ ما قلناه، يبقى السرّ سرًّا، ولا يمكننا إلاّ الوقوف مدهوشين أمام كلمة الله، متعجّبين من لا محدوديّتها.

### ح. تسبحة بولس (٣: ٢٠، ٢١)

**٣: ٢٠** تنتهي صلاة بولس بتسبحة جميلة ملهمة للنفس. ومع أنّ الطلبة السابقة كانت واسعة وجريئة، ومستحيلة ظاهريًّا، فإنّ الله قادر أن يفعل الكثير في ما يتعلّق بما نطلب أو نفتكر. ويُظهر بولس اتّساع قدرة الله من طريق وصفه لبركة الله العظيمة في التسلسل الهرمي للكلمات:

**القادر**
**القادر أن يفعل**
**القادر أن يفعل ما نطلب**
**القادر أن يفعل ما نفتكر**
**القادر أن يفعل ما نطلب أو نفتكر**
**القادر أن يفعل كلّ ما نطلب أو نفتكر**
**القادر أن يفعل أكثر ممّا نطلب أو نفتكر**
**القادر أن يفعل أكثر جدًّا ممّا نطلب أو نفتكر**
**القادر أن يفعل فوق كلّ شيء أكثر جدًّا ممّا نطلب أو نفتكر**

أمّا الواسطة التي يستجيب بها الله صلاتنا فهي مذكورة في العبارة: **بحسب القوّة التي تعمل فينا.** وتشير هذه الكلمات إلى الروح القدس الذي يعمل في حياتنا بشكل مستمرّ؛ وغرضه أن ينتج أثمار خُلق مشابهة المسيح، وأن يوبّخنا على الخطيّة، وأن يقودنا في الصلاة مُرشدًا إيّانا في العبادة وموجّهًا حياتنا في الخدمة. وكلّما ازددنا تسليمًا له، عَظُمت فعّاليّته في جعلنا مشابهين لصورة المسيح.

**٣: ٢١ له المجد في الكنيسة في المسيح يسوع إلى جميع أجيال دهر الدهور،** آمين. إنّ الله هو غرض تسبيحنا وشكرنا الأبديّ، لأنّه مستحقّ. وتظهر حكمته وقوّته في الأجناد السماويّة؛ كما تظهر أيضًا في الشمس والقمر والنجوم؛ وتظهر في الحيوانات والطيور والأسماك؛ وفي النار والبرد والثلج والضباب؛ في الريح والجبال والتلال والأشجار؛ كما تظهر في الملوك والأمم، والشيوخ والأحداث، وفي شعب العهد والأمم الأخرى. والقصد وراء كلّ هذه أن تكون لمدح اسم ربّنا العظيم (مز١٤٨).

لكنّ هناك فريقًا آخر ينتج منه إعطاء المجد لله إلى أبد الآبدين، وهو الكنيسة — حيث المسيح هو الرأس والمؤمنون هم الجسد. وستبقى هذه الجماعة المفديّة شهادة أبديّة لعظمة نعمته الفائقة. ويكتب وليامز *Williams* قائلاً:

> إنّ مجد الله الأبديّ، بوصفه الإله الوحيد والآب القدّوس، سيصير ظاهرًا على مدى الدهور في الكنيسة وفي المسيح يسوع. يا لعظم هذا الإعلان! فالمسيح والكنيسة سيكونان، كجسد واحدًا، أداة العرض الأبدي لمجد الله.

وحتّى في وقتنا هذا، يجب أن تُعطي الكنيسة المجد لاسمه "في خدمات العبادة والتسبيح، وفي حياة الطهر لدى أفرادها، وفي إعلان الإنجيل في العالم كلّه، وفي خدماتها التي تؤدّيها للبائسين والمحتاجين من البشر" (إردمان *Erdman*).

أمّا مدّة هذا التسبيح فهو **إلى جميع أجيال دهر الدهور.** وعندما نسمع بولس وهو يدعو للتسبيح الأبديّ لله في الكنيسة وفي المسيح يسوع فإنّ قلوبنا تتجاوب من الداخل وتهتف: آمين!

## ٢- سلوك المؤمن في الرب (اص٤- ٦)

### أ. مناشدة في سبيل الوحدة في الشركة المسيحيَّة (٤: ١-٦)

**٤: ١** يوجد تغيّر رئيسيّ في منحى الرسالة عند هذه النقطة. فالأصحاحات السابقة عالجت موضوع دعوة المسيحي، فيما تحثّه الأصحاحات الثلاثة الأخيرة على أن **يسلك كما يحقّ للدعوة التي دعي بها**. والموضوع الذي ساد حتى الآن يتناول المركز الذي رفعتنا النعمة إليه. لكنّ مركزنا المجيد في المسيح يدعونا للسلوك في التقوى التي تتناسب معه. لذلك يصحّ القول بأنّ رسالة أفسس تنتقل من السماويّات في الأصحاحات ١-٣ إلى الكنيسة المحليّة والبيت والمجتمع عمومًا في الأصحاحات ٤-٦. وكما يشير جون ستوت *John Stott*، فإنّ هذه الفصول الختاميّة تعلّمنا بأنّه "علينا أن ننمي عنصر الوحدة في الكنيسة، والطهارة في الحياة الفرديّة، والتناغم في بيوتنا، والثبات في حربنا مع قوّات الشر".

ويشير بولس مرّة ثانية إلى نفسه بوصفه أسيرًا، وهذه المرّة: **الأسير في الربّ**. ويعلّق ثيودوريت *Theodoret* قائلاً: "ما كان العالم يحسبه خزيًا فهذا حسبه بولس أرفع مجد؛ فهو يفتخر بقيوده من أجل المسيح أكثر مما يفتخر الملك بتاجه".

وها هو بولس، وهو مسجون لأجل أمانته وطاعته للربّ، يشجّع قرّاءه على السلوك بطريقة تليق بدعوتهم. وهو لا يأمرهم أو يوجّههم، بل إنّه يطلب إليهم برقّة وتواضع وبلغة النعمة.

ويرد الفعل **سلك** سبع مرّات في هذه الرسالة (٢: ٢، ١٠؛ ٤: ١، ١٧؛ ٥: ٢، ٨، ١٥)؛ وهو يصف أسلوب حياة الإنسان بكاملها. أمّا **السلوك الذي يحق للدعوة** فهو سلوك يتناسب مع المركز الممجّد الذي صار للمسيحي لكونه عضوًا في جسد المسيح.

**٤: ٢** ينبغي إظهار الروح المسيحيّة في كلّ ناحية من نواحي الحياة، وهذا يعتمد على:

**التواضع** - وهو الاتضاع الحقيقي الذي يأتي من اتّباع الربّ يسوع. وتعطينا صفة **التواضع** أن ندرك عدم أهميّتنا، وتجعلنا بالتالي نعطي الآخرين كرامة أفضل من أنفسنا، وهي عكس الإدّعاء والغرور.

**الوداعة** - وهي حالة النفس التي تخضع لمعاملات الله دون عصيان، ولظلم الناس دونما انتقام. ونظهر هذه الصفة بشكل كامل في الربّ الذي قال عن نفسه: «لأنّي وديع ومتواضع القلب». ويعلّق رايت *Wright* قائلاً:

> يا لعظم هذا التصريح المدهش! فالذي صنع العالمين وطرح النجوم في الفضاء ودعاها بأسماء، والذي يحفظ المجرّات الواسعة في مساراتها، ويزن الجبال بالقبّان والآكام بالميزان، والذي يرفع الجُزُر كلا شيء في يده، ويحمل في كفّه مياه المحيطات، الذي قدّامه يبدو سكّان الأرض كالجندب؛ عندما جاء في جسم بشريّتنا وُجد أنّ ميزته الأساسيّة هي التواضع ووداعة القلب. وليس الأمر أنّه وضع أمامه الخُلق البشري الأمثل وارتقى هو إليه، كلاّ، بل هو أساسًا كذلك.

**طول أناة** - وهو المزاج الهادئ والروح التي تصبر أمام الاستفزاز المستمرّ. وقد جرى توضيح هذه الصفة كما يلي: تخيّل جروًا صغيرًا وكلبًا كبيرًا معًا. وكلّما نبح الجرو الصغير على الكلب الكبير، وهو يريد إخافته والتهجّم عليه، فإنّ الكلب الكبير الذي يستطيع أن ينهش الجرو الصغير بعضّة واحدة، نراه يتأنّى عليه صابرًا على وقاحته؛ هذا توضيح لطول الأناة.

**محتملين بعضكم بعضًا بالمحبّة** - أي أن نتسامح مع أخطاء الآخرين وسقطاتهم، أو نحتمل الشخصيّات المختلفة عنا، والقدرات والطباع المختلفة أيضًا. والمعنى هنا ليس أن نتصنّع المجاملة ونحن نغلي من الداخل في حالة من الغيظ الشديد، بل المعنى هو المحبّة الإيجابيّة للذين يثيروننا ويضايقوننا ويزعجوننا.

**٤: ٣ مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام.** عندما كوّن الله الكنيسة، ألغى أعظم انشقاق حاصل في الجنس البشري، وهو الانشقاق الذي كان قائمًا بين اليهود والأمم. ففي المسيح يسوع أُلغيت كلّ هذه الفروقات. لكن كيف يمكن أن تظهر هذه الحقيقة في الحياة العمليّة؟ هل يمكن أن تكون هناك تناقضات مستمرّة قائمة بين الطرفين؟ هل هناك ميل لتكوين كنيسة تدعى "كنيسة المسيح اليهوديّة" وأخرى هي "كنيسة الأمم؟" وبغية حفظ الكنيسة من الانشقاقات والتحزّبات والعداوات الحادّة، ها هو بولس يسعى طالبًا الوحدة بين المؤمنين المسيحيّين.

فيجب على المؤمنين أن يُظهروا اجتهادًا في **حفظ وحدانية الروح**. أمّا الروح القدس فقد جعل كلّ المؤمنين الحقيقيين واحدًا في المسيح؛ فالجسد يسكنه روح واحد. وهذا وحدة أساسيّة لا يستطيع أحد القضاء عليها. لكنّ المؤمنين، بخصامهم وتشاحُنهم، يتصرّفون وكأنّ هذه الوحدة لم تكن موجودة البتّة. والحفاظ على وحدانيّة الروح يعني أن نعيش في السلام بعضنا مع بعض. فالسلام هو الرباط الذي يربط أعضاء الجسد معًا بالرغم من فروقاتهم الطبيعيّة الواسعة. أمّا النتيجة المألوفة لحصول الاختلافات فهي أن يتشكّل فريق آخر ويبدأ عمل مستقل. لكنّ ردّ الفعل الروحي هو هذا: "الوحدة في الأمور الجوهريّة، الحريّة في الأمور المتنازع عليها، المحبّة في كلّ الأمور". يوجد من الجسد في كلّ واحد منّا ما يكفي لتقسيم أيّة كنيسة أو أيّ خدمة أخرى من خدمات الربّ. لذلك يجب أن نُغفل نزواتنا ومواقفنا التافهة، ونعمل معًا في سلام لمجد الله والبركة المشتركة.

**٤: ٤** يجب أن نفتكر بالحقائق الإيجابيّة السبع التي تشكّل القاعدة الأساسية للوحدة المسيحيّة، بدلاً من أن نضخّم اختلافاتنا مهما كانت. وهذه الحقائق هي:

**جسد واحد**. فبالرغم من الاختلافات في العرق واللون والجنسيّة والمجتمع واللغة والمزاج، هناك جسد واحد فقط، مكوّن من كلّ المؤمنين الحقيقيين من يوم الخمسين إلى يوم الاختطاف. أمّا الطوائف والتسميات والتحزّبات المختلفة فهي تعيق إظهار هذه الحقيقة. وستُمحى كلّ هذه الاختلافات عندما يرجع مخلّصنا له المجد. لذلك يجب أن يكون شعارنا في الوقت الحاضر "فلتسقط الأسماء والشيع والأحزاب، وليكن المسيح يسوع هو الكلّ في الكلّ".

**روح واحد**. إنّ الروح القدس ذاته الذي يسكن في كلّ مؤمن فرديًّا (١كو ٦: ١٩) يسكن أيضًا في جسد المسيح جماعيًّا (١كو٣: ١٦).

**رجاء واحد**. إنّ كل عضو من أعضاء جسد المسيح مدعوّ لمصير واحد: أن يكون مع المسيح، مشابهًا له ومشاركًا إيّاه في مجده إلى الأبد. ويشمل هذا الرجاء الواحد كلّ ما ينتظر المؤمنين عند مجيء الربّ يسوع وما يكون بعده.

٤: ٥ **ربّ واحد.** «لأنّه وإن وجد ما يُسمّى آلهة سواء أكان في السماء أم على الأرض كما يوجد آلهة كثيرون وأرباب كثيرون، لكن لنا إله واحد... وربّ واحد يسوع المسيح الذي به جميع الأشياء ونحن به» (١كو٨: ٥، ٦؛ انظر أيضًا ١كو١: ٢).

**إيمان واحد.** وهو الإيمان المسيحي، أي مجموع التعاليم «المسلَّمة مرّة للقدّيسين» (يه٣)، والمحفوظة لنا في العهد الجديد.

**معموديّة واحدة.** يوجد معنى مزدوج لهذه الحقيقة. أوّلاً، هناك معموديّة واحدة بالروح، وبها أصبح كلّ المؤمنين أعضاءً في الجسد (١كو١٢: ١٣). ثمّ هناك معموديّة واحدة يعترف فيها المؤمنون باتّحادهم مع المسيح بالموت. ومع أنّه يوجد اليوم أساليب مختلفة للمعموديّة، فإنّ العهد الجديد يعترف بمعموديّة واحدة للمؤمنين، باسم الآب والابن والروح القدس. ويعبّر التلاميذ عندما يعتمدون عن ولائهم للمسيح ودفنهم للإنسان العتيق وتصميمهم على السير في جدّة الحياة.

٤: ٦ **إله واحد.** يعترف كلّ واحد من أولاد الله **بإله وآب واحد** لكلّ المفديّين، والذي هو:

**على الكلّ** - بمعنى أنّه سيد الكون المطلق.

**وبالكلّ** - بمعنى أنّه يعمل من خلال الكلّ مستخدمًا كلّ شيء لتتميم مقاصده.

**وفي كلّكم** - بمعنى أنّه يسكن في كلّ المؤمنين، وهو حاضر في كلّ مكان في الوقت نفسه.

### *ب. برنامج العمل السليم لأعضاء الجسد (٤: ٧-١٦)*

٤: ٧ إنّ التعليم القائل بوحدة جسد المسيح يحتوي على حقيقة هامّة، وهي تنوّع أعضائه. فكلّ عضو لديه دور معيّن مُسند إليه. وبما أنّه لا يوجد اثنان متطابقان، فلا يمكن أن يكون لاثنين معًا الدور نفسه. أمّا الدور الذي يؤدّيه كلّ واحد فهو معطًى له **حسب قياس هبة المسيح**، أي إنّ المسيح يعمل بحسب ما يراه مناسبًا. وإذا كانت هبة المسيح هنا تعني الروح القدس (يو١٤: ١٦، ١٧؛ أع٢: ٣٨، ٣٩)، فعندئذ تكون الفكرة أنّ الروح القدس هو الذي يعطي إحدى المواهب لكلّ من القدّيسين، وهو الذي يعطي أيضًا المقدرة على ممارسة تلك الموهبة. وعندما يتمم كلّ عضو عمله المُعطى له فإنّ جسد المسيح ينمو روحيًّا وعدديًّا.

٤: ٨ لقد أعطى الربّ بعض المواهب الخاصّة في الخدمة، وذلك بغية مساعدة كلّ واحد من أولاد الله على معرفة خدمته وتتميمها. ويجب ألاّ نخلط بين هذه المواهب وتلك المذكورة في الآية السابقة. فكلّ مؤمن عنده موهبةٌ ما (ع١٧)، لكن ليست كلّ موهبة واحدةً من المواهب المذكورة في الآية ١١: فهذه هي مواهب خاصّة معيّنة لتخدم نمو الجسد.

أوّلاً، نجد أنّ مُعطي هذه الهبات الخاصّة هو الربّ يسوع المسيح المُقام والمرتفع والمُمجد في السماويّات. وهنا يقتبس بولس المزمور ٦٨: ١٨ مُستخدمًا إيّاه كنبوّة تشير إلى أنّ المسيح سيصعد إلى السماء، وسيتغلّب على أعدائه ويقتادهم في السبي، ومكافأةً لانتصاره هذا سيقبل عطايا للناس.

٤: ٩ لكنّ هذه المسألة تطرح السؤال التالي: كيف يمكن أن يصعد المسيح إلى السماء؟ ألم يكن يحيا في السماء مع الله الآب منذ الأزل؟ طبعًا، إن كان عليه أن يصعد إلى السماء، فمن المفروض أنّه قد نزل

من السماء أيضًا. فنبوّة صعوده المذكورة في المزمور ٦٨: ١٨ تفترض ضمنًا نزوله المسبق. إذًا بإمكاننا أن نعطي الآية ترجمة تفسيريّة على الشكل الآتي: "أمّا الآن، فعندما يقول المزمور ٦٨ **إنّه صعد**، فماذا يعني إلاّ **أنّه نزل أيضًا أوّلاً إلى أقسام الأرض السفلى**". ونعلم أنّ هذا هو بالحقيقة ما حصل؛ فقد نزل الربّ يسوع إلى مذود بيت لحم ثمّ إلى موت الصليب فإلى القبر. وقد أُخذ التّعبير **أقسام الأرض السفلى** أحيانًا على أنّه يشير إلى الهاوية أو الجحيم. لكنّ هذا التفسير لا يتوافق مع منطق المقطع هنا: فصعوده يتطلّب نزولاً مُسبقًا إلى الأرض وليس إلى الجحيم. بالإضافة إلى ذلك، يشير الكتاب إلى أنّ روح المسيح، عند موته، صعدت إلى السماء وليس إلى الجحيم (لو٢٣: ٤٣، ٤٦).

وتورد طبعة الـ *New English Bible* الترجمة التّالية لهذه الآية: "أمّا الكلمة صعد فتشير إلى أنّه نزل أيضًا إلى الأقسام السفلى، أي إلى الأرض بذاتها".

**٤: ١٠** إنّ نبوّة المزمور ٦٨: ١٨ وعمليّة النزول المفترَضة ضمنًا في النبوّة قد تحقّقتا تمامًا في تجسّد الربّ وموته ودفنه. **أمّا الذي نزل** من السماء فهو أيضًا الذي قهر الخطيّة والشيطان والأرواح الشريرة والموت، وهو الذي **صعد فوق فضاء السماوات وفلكها ليملأ الكلّ**.

إنّ الربّ يملأ الكلّ بمعنى أنّه نبع كلّ بركة وجامع كلّ الفضائل والسيّد المطلق على كلّ الأشياء. "ليس من مكان ما بين أعماق الصليب وأعالي المجد إلاّ احتلّه"، على حدّ قول جرانت *F.W. Grant*.

إنّ الفكرة الأساسية في الآيات ٨-١٠ أنّ مُعطي العطايا أو المواهب هو المسيح الذي صعد إلى العُلى. فلم يكن هنالك مواهب من هذا النوع قبل رجوعه إلى السماء. وفي هذا مزيد من التأييد للقول بأنّ الكنيسة لم تكن موجودة في العهد القديم، إذ لو وُجدت لكانت عندئذ كنيسة بلا مواهب.

**٤: ١١** يذكر بولس الآن أسماء الهبات التي أعطاها الربّ. ونندهش عندما نجد أنّ هبات المسيح هي أشخاص وليست مقدّرات طبيعيّة أو مواهب. فقد **أعطى البعض أن يكونوا رسلاً، والبعض أنبياء والبعض مبشّرين والبعض رعاة ومعلّمين**.

**الرسل** هم رجال أُرسلوا مباشرة من قِبل الرب ليكرزوا بالكلمة ويؤسّسوا الكنائس. كانوا أشخاصًا شاهدوا المسيح بعد قيامته بأعينهم (أع١: ٢٢). كانت عندهم القدرة على صنع المعجزات (٢كو١٢: ١٢) كوسيلة لتثبيت الرسالة التي كانوا يكرزون بها (عب٢: ٤). كانت خدمتهم، مع خدمة أنبياء العهد الجديد، تختصّ بشكل رئيسي بتأسيس الكنيسة (أف٢: ٢٠). والكلمة **رسل** في هذه الآية تعني فقط الذين كانوا رسلاً بعد صعود المسيح إلى العلاء.

**أمّا الأنبياء** فهم الناطقون بلسان الله. وقد كانوا يتلقّون إعلانات مباشرة من الربّ وينقلونها للكنيسة. فما كانوا يتكلّمون به بالروح القدس كان كلمة الله. أمّا الآن فلم يعد يوجد رسل وأنبياء بحسب المعنى الرئيسي للكلمة. فخدمة هؤلاء انتهت عند انتهاء العمل التأسيسي للكنيسة واكتمال الأسفار المقدّسة القانونيّة. ولقد أشرنا إلى أنّ بولس يتكلّم هنا عن أنبياء العهد الجديد الذين وُهبوا للكنيسة من قِبل المسيح بعد صعوده. لذلك فالتفكير بأنّ هؤلاء هم أنبياء العهد القديم يُضيف إلى المقطع صعوبات لا ضرورة لها.

**المبشّرون** هم الذين يكرزون بأخبار الخلاص السارّة. فهم مهيّئون من الله لكي يربحوا الهالكين للمسيح. ويمتلكون مقدرة خاصة على تشخيص حالة الخاطئ ومخاطبة الضمير وتشجيع القرارات لإتباع المسيح، ومساعدة المهتدي على تيقّن خلاص نفسه بواسطة كلمة الله. ومن المفروض أن يخرج المبشّرون من الكنيسة المحلية ويكرزوا بالإنجيل للعالم، ثمّ يقودوا المهتدين إلى الكنيسة المحلية حيث يجدون الغذاء الروحي والتشجيع.

أمّا **الرعاة** فهم رجال يخدمون خراف المسيح كرُعاة عبيد للمسيح راعي الخراف العظيم. فهم يقودون القطيع ويعطونه العلوفة. وتشمل خدمتهم النصيحة والحكمة والتقويم والتشجيع والتعزية.

هذا وترتبط خدمة **الرعاة** بخدمة الشيوخ ارتباطًا وثيقًا، والفارق الرئيسي بينهما هو أنّ الرعاية هي هبة أمّا الشيخ فخدمة. ويُظهِر العهد الجديد تعدّد الرعاة في الكنيسة المحليّة (أع ٢٠: ١٧، ٢٨؛ ١بط٥: ١، ٢) بدلاً من راعٍ واحد أو شيخ مسيطر.

**والمعلّمون** هم الرجال الذي أعطاهم الله مقدرة على شرح الكتاب المقدّس وتفسير معانيه وتطبيقها على نحوٍ يؤثّر في قلوب القدّيسين وضمائرهم. ففيما يصحّ أن يكرز المبشّر بالإنجيل مستخدمًا مقاطع لا تتناسب وسياق الكلام، يسعى المعلّم لشرح المقطع الكتابي بشكل ينطبق مع سياق النص.

ويستنتج بعض الشرّاح أنّ **الرعاة والمعلمين** موهبة واحدة، بسبب ارتباط الاثنين معًا في هذه الآية، ويقولون أنّ العبارة يجب أن تُقرأ "رعاة معلّمين". ولكنّ الأمر ليس هكذا بالضرورة. فقد يكون المرء معلّمًا وليس لديه قلب الراعي؛ أو قد يكون الراعي قادرًا على استخدام كلمة الله دون أن تكون لديه موهبة التعليم المميزة. لو كان الرعاة والمعلّمون يمثّلون الأشخاص أنفسهم في الآية ١١، فالقاعدة اللّغوية نفسها تنطبق على الرسل والأنبياء في ٢: ٢٠.

أخيرًا تجب الملاحظة بضرورة التمييز بين المواهب الإلهيّة والطاقات الطبيعيّة. فما من إنسان غير مخلّص، مهما كانت طاقاته، يستطيع أن يكون مبشّرًا أو راعيًا أو معلّمًا بحسب تعليم العهد الجديد. ولا يستطيع المؤمن هذا أيضًا ما لم يحصل على تلك المواهب الخاصّة. فمواهب الروح القدس هي فوق الطبيعيّة، وهي تؤهّل الإنسان لأن يعمل ما يستحيل عليه عمله بشريًا.

**٤: ١٢** نأتي الآن إلى طريقة عمل المواهب أو القصد منها. إنّها **لتكميل القدّيسين، لعمل الخدمة، لبنيان جسد المسيح**. أمّا أسلوب العمل فهو كالتالي:

١ـ المواهب تُهيّئ القدّيسين.

٢ـ عندئذ يخدم القدّيسون.

٣ـ هكذا يُبنى الجسد كلّه.

هذا وليست **الخدمة** عملاً متخصّصًا لا يستطيع القيام به إلاّ الذين نالوا قسطًا من التدريب المهنيّ. فالكلمة تشير إلى عمل الخدمة بكلّ بساطة، وهذا يشمل كلّ أشكال الخدمة الروحيّة. وما تعلّمه هذه الآية هو أنّه يجب أن يكون كلّ مؤمن "في الخدمة".

أمّا المواهب فأُعطيت لتكميل ـ أو تجهيز ـ كل المسيحيين لخدمة الرب، وبالتالي لبنيان جسد المسيح. ويشرح فانس هافنر *Vance Havner* هذه النقطة بطريقته المميّزة فيقول:

إنّ كل مسيحي مكلّف مهمة، لأنّ كل

مسيحي مُرسَل. وقد قيل إنّ الإنجيل ليس أمرًا تأتي إلى الكنيسة لتستمع إليه، بل هو شيء تخرج من الكنيسة لتخبر به، وكلّنا مكلّفون الإخبار به. وقد قيل أيضًا، "إنّ المسيحيّة بدأت بجماعة من الشهود من عامّة الشعب، وأصبحت في ما بعد اختصاصًا في المنابر تموّله عامّة الشعب". في أيّامنا هذه نوظف طاقمًا في الكنيسة "للتفرّغ للخدمة المسيحيّة"، ثم نجلس في الكنيسة نهار الأحد لنشاهدهم وهم يعملون. يجب أن يكون كلّ مسيحي متفرّغًا للخدمة المسيحيّة... يوجد بالطبع خدمة خاصّة للرعاة والمعلّمين والمبشّرين؛ لكن لأيّ غرض؟... لتكميل القدّيسين وإعدادهم لعمل خدمتهم.

يجب ألاّ يخدم هؤلاء الأشخاص المُعطَون من الله للكنيسة بشكل يجعل الناس يعتمدون عليهم باستمرار. لكن يجب عليهم أن يجتهدوا لإدراك اليوم الذي فيه يستطيع القدّيسون أن يُباشروا الخدمة بأنفسهم. ويمكننا أن نصوّر الأمر على الشكل التالي:

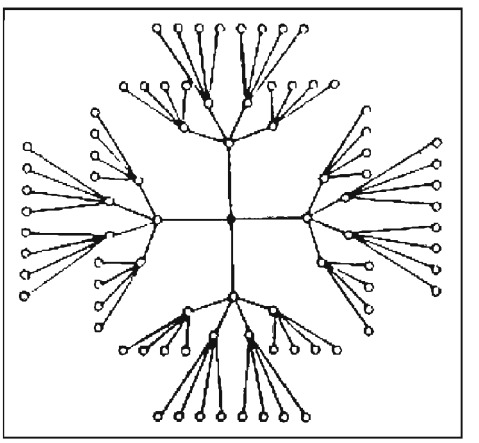

لنفرض أنّ الدائرة التي في الوسط تمثّل موهبة المعلّم. فالمعلّم يخدم أولئك الذين يحيطون به مباشرة فيصبحون مؤهّلين للخدمة أي مبنيّين في الإيمان. وعندئذ ينصرفون لخدمة الآخرين بحسب ما أعطاهم الله من مواهب. وبهذه الطريقة تنمو الكنيسة وتمتدّ. هذه هي الطريقة الإلهيّة لتحصيل النمو في **جسد المسيح**، النموّ الروحي والنمو العددي معًا.

إنّ حصر الخدمة المسيحيّة بطبقة معيّنة من الناس يعيق نموّ شعب الله، ويؤخّر السعي في تبشير العالم، ويمنع نمو الكنيسة. فالتمييز بين طبقة رجال الدين وطبقة عامة الشعب لا أساس له في الكتاب المقدّس، وربّما كان هذا أعظم سبب للتأخّر في نشر الإنجيل بين الناس.

**٤: ١٣** تجيب الآية ١٣ عن السؤال الآتي: "إلى متى تستمر عمليّة النموّ هذه؟". والجواب هو إلى أن **ننتهي جميعنا إلى حالة الوحدانيّة** والنضج والمشابهة.

الوحدانيّة: عندما يأخذ الربّ كنيسته إلى السماء سوف نصل جميعنا إلى **وحدانية الإيمان**. «فإننا الآن ننظر في مرآة، في لغز» بالنسبة لأمور كثيرة. وعندنا اختلافات في وجهات النظر في مواضيع جمّة. لكن عند ذاك سنتفق جميعنا في كل شيء، كما سنصل أيضًا إلى **وحدانية**... **معرفة ابن الله**. في الوقت الحاضر، لدى كلّ منّا نظرات مختلفة بالنسبة للربّ وهيئته ومضامين التعليم الذي علّمه. لكن عندما نراه وجهًا لوجه سنراه كما هو وسنعرف كما عُرِفنا.

النضج: عند الاختطاف سنصل أيضًا إلى مرحلة النموّ الكامل أو النضج. عندئذ سنبلغ حالة النموّ الروحي سواءً بالنسبة إلينا نحن الأفراد أو بالنسبة إلينا جميعًا بوصفنا جسد المسيح.

المشابهة: وسنغدو عند ذاك مشابهين للربّ إلهنا. فسيصبح كلّ واحد مشابهًا **للمسيح** من الناحية

الخُلقيّة، وستغدو الكنيسة الشاملة جسدًا كاملاً يليق تمامًا برأسه المجيد. "إنّ ملء المسيح هو الكنيسة بالذات، ملء الذي يملأ الكلّ في الكلّ" (ف. جرانت *F.W.Grant*). **وقياس قامة الكنيسة** معناه تطوّرها إلى النضج الكامل، أي إتمام مخطّط الله لنموّها.

٤: ١٤ عندما تشتغل المواهب بالطريقة المعيّنة لها من الله، وينشط القدّيسون لخدمة الربّ يصبح بالإمكان التفادي من ثلاثة أخطار: عدم النضج وعدم الاستقرار والسذاجة.

عدم النضج. إنّ المؤمنين الذين لا ينخرطون في خدمة المسيح الجديّة سيظلّون دائمًا **أطفالاً** روحيّين. إنّهم في حالة ضمور ناتج من عدم التدريب الرياضي. ولمثل هؤلاء توجّه كاتب رسالة العبرانيين قائلاً: «لأنّه إذ كان ينبغي أن تكونوا معلّمين لسبب طول الزمان تحتاجون أن يعلّمكم أحد...» (عب٥: ١٢).

عدم الاستقرار. والخطر الثاني هو التقلّب الروحي. فالمسيحيّون غير الناضجين معرّضون للانجراف وراء أغرب البدع والتيّارات التي ينادي بها الدجّالون المحترفون. وقد يصبحون "بدوًا رُحّلاً" من الناحية الدينيّة، يتنقّلون من بدعة جذابة إلى بدعة أخرى.

السذاجة. أشدّ الأخطار على المؤمنين هو خطر الضلال. فالأطفال روحيًّا هم عديمو الخبرة في كلام البرّ، وحواسّهم غير مدرّبة على التمييز بين الخير والشرّ (عب٥: ١٣، ١٤). ولا يندر أن يلتقوا أحد المعلّمين الكذبة فيبهرهم بغيرته وإخلاصه الظاهر. ولسبب استخدامه للمصطلحات الدينيّة يظنون أنّه مؤمن حقيقيّ. فلو بذلوا جهدًا جديًّا في دراسة الكتاب المقدس لاستطاعوا تمييز الخداع في استخدامه للعبارات المنمّقة. لكنّهم الآن **محمولون بريح تعليمه** ومنقادون بمكره إلى **مكيدة الضلال**.

٤: ١٥ تصف الآيتان الأخيرتان من المقطع الحالي عمليّة النموّ الحقيقيّة داخل جسد المسيح. **فأوّلاً** توجد ضرورة لاعتناق التعليم الصحيح، كما يقول، بل **صادقين**. ويجب ثانيًا أن يكون هناك الروح الصحيحة: بل **صادقين، في المحبّة**. فلو تكلّمنا الصدق بطريقة أخرى فستكون الشهادة مبتورة. ويعلّق بلايكي *Blaikie* على الموضوع فيقول:

> الحقّ هو العنصر الذي فيه يجب أن نحيا ونتحرّك ونُوجَد... لكنّ الحقّ يجب أن يقترن دائمًا بالمحبّة؛ فالأخبار السارّة التي تُقال بطريقة قاسية تفقد منها عنصر السرور، وبريق الرسالة تخفته روح حاملها المتشنّجة.

وإذ تُكمّل المواهب القدّيسين فينشطون في خدمة الربّ **ننمو في كل شيء إلى**... المسيح. إنّ المسيح هو غرض نموّ المؤمنين، أمّا مجال النموّ فهو **في كل شيء**. فالمؤمنون يغدون مشابهين للمسيح في كلّ ناحية من نواحي حياتهم. وعندما يسيّطر **الرأس** (المسيح) على جسده تُلقي الكنيسة انعكاسًا صحيحًا لشخصه في العالم الحاضر!

٤: ١٦ هذا، وليس الربّ يسوع هدف النمو فقط بل هو مصدره أيضًا. **فمنه كل الجسد** يشترك معًا في عمليّة النموّ. أمّا الدماج الأعضاء العجيب في هذه العمليّة فيصفه الرسول بقوله، **مركّبًا معًا ومقترنًا**. وهذا يعني أنّ كلّ عضو مُصمّم تمامًا لمكانه الخاصّ ووظيفته الخاصّة ومُركّب بتناغم تامّ مع الأعضاء الأخرى ليشكّلوا في النهاية جسمًا حيًّا متكاملاً. وبعد هذا تأتي الإشارة إلى أهميّة كلّ عضو وضرورة وجوده، فنقرأ: **مركّبًا معًا**

**ومقترنًا بمؤازرة كلّ مفصل.** فإنّما يتألّف جسم الإنسان بشكل رئيسي من العظم واللحم والأعضاء. وترتبط العظام بعضها ببعض بواسطة الرّبط والمفاصل كذلك الأعضاء تلتصق بعضها ببعض بواسطة الرّبط. ويحقّق كلّ رباط وكلّ مفصل دوره في نموّ الجسد ونفعه. هكذا هي الحال في جسد المسيح. فكلّ الأعضاء نافعة حتى أشدّ المؤمنين تواضعًا هو ضروري فيه.

وعندما يتمّم كلّ مؤمن دوره فالجسد ينمو كوحدة متناغمة مترابطة. ومع أنّها قد تبدو مفارقة غريبة فإنّ الحقيقة هي أنّ **الجسد... يحصل نمو الجسد.** وهذا يعني بكلّ بساطة أنّ الجسد نفسه هو الذي يُحرِّض على عمليّة النموّ، إذ يتغذّى أعضاؤه بقراءة الكتاب المقدّس والصلاة والعبادة والشهادة للمسيح. وكما يقول شايفر *Chafer*: "إنّ الكنيسة تتمتّع بنمو ذاتي مثل الجسم البشري تمامًا". لكن بالإضافة إلى النموّ في القامة نرى أنّه يوجد **بنيان** للجسد **في المحبّة**. وهذا يشير إلى اهتمام الأعضاء المتبادل بعضهم ببعض. فكلّما ثبت المسيحيّون في المسيح وتمّموا أدوارهم الخاصّة في الكنيسة، ازدادوا اقترابًا بعضُهم من بعض **في المحبّة** والوحدانيّة.

### ج. *مناشدة في سبيل فضائل جديدة* (٤: ١٧- ٥: ٢١)

**٤: ١٧** يبدأ الرسول بولس هنا مناشدته البليغة في سبيل فضائل جديدة، وتمتدّ هذه المناشدة حتى ٥: ٢١. والشّهادة **في الربّ** تعني أنّ بولس، بسلطان من الربّ وبوحي منه، يطلب إلى المؤمنين المسيحيّين أن يخلعوا عنهم كلّ آثار حياتهم السّابقة، وكأنّها رداء موحل؛ ثمّ يلبسوا عوضًا عنها الفضائل والمزايا التي للرب يسوع المسيح. فيجب **ألاّ تسلكوا في ما بعد كما يسلك سائر الأمم.** لم يعد الأفسسيون أمميّين، بل أصبحوا مسيحيّين، لذلك يجب أن يحصل تغيير في حياتهم يتناسب مع هذا الانتقال. وقد رأى بولس أنّ عالم الأمم البعيد عن المسيح غارق في الجهل والانحطاط. إنّهم ينحطّون في سبعة أمور رهيبة، فهم:

بلا هدف: إنّ الأمم يسلكون **ببطل ذهنهم.** فحياتهم فارغة بلا غاية ولا ثمر. ومع أنّ لديهم نشاطات كثيرة فليس من تقدّم، ذلك لأنّهم أهملوا أعظم حقائق الحياة ومضوا وراء الفقاعات والخيالات يطاردونها.

**٤: ١٨** عميان: "يعيشون معصوبي العينين في عالم الضلال". فقد أظلم فكرهم، إذ كان لهم أوّلاً عجزٌ طبيعيٌّ عن فهم الحقائق الروحية، ومن ثمّ، بسبب رفضهم لمعرفة الإله الحقيقي، أصابهم العمى الروحي دينونةً من الربّ.

أشرار: **متجنّبون عن حياة الله.** وبكلام آخر، يعيشون على مسافة كبيرة بينهم وبينه. وقد نتجت هذه الحالة من جهلهم العميق والمقصود من قساوة قلوبهم الحجريّة. فإذ قد رفضوا نور الله المعلن في الخليقة وفي الضمير استسلموا لعبادة الأوثان، وهكذا غاصوا في متاهات البعد المتزايد عن الله.

**٤: ١٩** بلا خجل: يكتب الرسول عنهم أنّهم **فقدوا الحسّ.** ويشرح رايت *Wright* هذا الأمر فيقول:

> يترجم مول *Moule* العبارة بالقول: "لقد تغلّبوا على الإحساس بالألم". يا لبلاغة التعبير! عندما يُقاوَم الضمير في بادئ الأمر يتولّد وخز من الألم؛ يسمع المرء احتجاجًا في داخله. لكن عندما يُسكَت الصوت يصبح بعد ذلك أقلّ وضوحًا ومطالبةً ويغدو الاحتجاج أقل قساوة؛ ويفقد

الوخز حدّته تدريجيًّا حتى يغدو التغلّب على الألم ممكنًا في النهاية.

**نجسون: فقد أسلموا نفوسهم عن قصد للدعارة** أي للتصرّف الفاسد. هذا وإنّ خطيّة الأمم الرئيسيّة كانت ما تزال خطيّة الزنى والفسق. فقد انحدروا إلى مستويات من الفساد لا مثيل لها. وتخبرنا حيطان مدينة بومباي بقصّة العار وعدم الخجل. وتميّز هذه الخطايا نفسُها عالم الأمم في يومنا هذا.

**بلا انخلاق:** يمضي الرسول بولس فيقول إنّ الأمم في خطاياهم الجنسيّة عملوا **كل نجاسة**. والفكرة التي يوحي بها النص هي أنّهم أسلموا أنفسهم لكلّ أنواع النجاسة وكأنّهم يتاجرون ويعملون **بالدعارة**.

**جشعون: في الطمع**. لم يكن عندهم اكتفاء قطّ بل كانوا يطلبون المزيد دائمًا. فخطيّتهم ولّدت فيهم شهيّة للمزيد من الانغماس في الأمور نفسها.

**٤: ٢٠** آه كم يختلف هذا عن **المسيح** الذي تعرّف به الأفسسيّون وأحبّوه؛ إنّه الطهارة والعفّة مجسّمتين: فهو لم يعرف خطيّة، ولم يفعل خطيّة، ولم يكن فيه خطيّة البتّة.

**٤: ٢١** أمّا كلمة **إن في إن كنتم قد سمعتموه وعلّمتم فيه** فلا تحمل معنى الشكّ بحقيقة اهتداء الأفسسيّين؛ بل تشدّد بكلّ بساطة على أنّ الذي **سمعوا** المسيح **وعلّموا فيه** قد عرفوه أنّه مصدر القداسة والتقوى. وأن يكون المرء قد سمع المسيح يعني أنّه سمعه بأذن الإيمان ـ أي قبِله ربًّا ومخلّصًا لحياته. أمّا العبارة **عُلّمتم فيه** فتشير إلى التعليم الذي تلقّاه الأفسسيّون عندما ساروا في شركة مع الربّ بعد اهتدائهم. ويعلّق بلايكي *Blaikie* قائلاً: "يتّخذ كلّ حقّ شكلاً مختلفًا وطابعًا مختلفًا عندما يأتي نتيجة لعلاقة شخصيّة بالمسيح. فالحقّ البعيد عن شخص المسيح خالٍ من القوّة". **كما هو حق في يسوع**. فالمسيح لا يعلّم الحقّ فقط بل هو الحقّ المجسّد (يو ١٤: ٦). هذا ويُرجعنا اسم **يسوع** إلى الحياة التي عاشها على الأرض، لأن هذا هو الاسم الذي أُعطي له في التجسّد. فسيرة المسيح التي بلا عيب والتي عاشها كإنسان في هذا العالم تصوّر لنا النقيض الآخر لحياة الأمم التي وصفها بولس في الآيات السابقة.

**٤: ٢٢** نتعلّم في مدرسة المسيح أنّنا عند اهتدائنا **نخلع الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور**. **والإنسان العتيق** يعني كلّ ما كان المرء عليه قبل اهتدائه، أي كلّ ما كانت حالته كابن لآدم. فهو فاسد نتيجة الاستسلام **لشهوات الغرور** (أو الخداع) الشرّيرة التي تبدو في بادئ الأمر مُسرّة وواعدة ولكن بعد التأمّل فيها تظهر شنيعة ومخيّبة للآمال. أمّا بالنسبة لمركز المؤمن في المسيح فإنسانه العتيق مصلوب ومدفون مع المسيح؛ لكن عمليًّا يجب على المؤمن أن يحسبه ميتًّا. وهنا يشدّد بولس الرسول على الحقّ المتعلّق بالمقام، أنّنا نحن المؤمنين، قد **خلعنا الإنسان العتيق** مرّة وإلى الأبد.

**٤: ٢٣** لقد تعلّم الأفسسيّون درسًا ثانيًا عند قدمَي الربّ يسوع وهو أنّهم يتجدّدون بروح ذهنهم. ويشير هذا إلى تغيير كامل ومفاجئ في تفكيرهم، وانتقال من حالة النجاسة في الفكر إلى القداسة. فروح الله يؤثّر على أسلوب التفكير بحيث يجعل الإنسان ينظر إلى الأمور من وجهة نظر الله وليس من وجهة نظر الإنسان غير المخلّص.

٤: ٢٤ أمّا الدرس الثالث فهو أنّهم **لبسوا الإنسان الجديد** مرّة وإلى الأبد أيضًا. **والإنسان الجديد** هو وضع المؤمن من حيث مقامُه في المسيح. فهو الخليقة الجديدة التي فيها مضت الأشياء العتيقة جميعها وأصبح كل شيء جديدًا (٢كو٥: ١٧). هذا النوع الجديد من الإنسان هو **بحسب الله**، أي أنّه مخلوق على شبهه، ويظهر هذا **في البرّ وقداسة الحقّ**. والبرّ يعني السلوك السليم نحو الآخرين، أمّا **القداسة** فهي بحسب تعريف جرانت "تقوى الله التي تحترم مكانة الله".

٤: ٢٥ ينتقل بولس الآن من موضوع مقام المؤمنين في المسيح إلى حالتهم العمليّة. فإذ قد خلعوا الإنسان العتيق ولبسوا الإنسان الجديد باتّحادهم مع المسيح ينبغي لهم أن يُظهروا هذا التحوّل الجذري في حياتهم اليوميّة.

وهذا ما يمكنهم عمله أوّلاً من طريق **طرحهم للكذب وتكلّمهم بالصدق**. ويشمل الكذب هنا كلّ أنواع عدم الاستقامة، سواء كان بإخفاء الحقّ، أو المبالغة، والغش، وعدم الوفاء بالوعود، والبوح بالسرّ، والتملّق، وعدم الأمانة في دفع الضرائب، ونحوها. يجب أن تكون كلمة المؤمن المسيحي جديرة بالثقة الكليّة؛ فنَعَمه يجب أن تعني «نعم» ولاؤه «لا». لكن عندما يتنازل المسيحي إلى مستوى العبث بأيّ من أشكال الصدق، تغدو حياته تشهيرًا بدلاً من كونها تبشيرًا.

إنّ الصدق والحقّ دَين علينا للناس أجمعين، ولكن عندما يستخدم بولس كلمة **القريب** هنا فهو يفكّر بإخوتنا المؤمنين؛ ويظهر هذا جليًّا من ذكر السبب، **لأنّنا بعضنا أعضاء البعض** (راجع رو١٢: ٥؛ ١كو ١٢: ١٢-٢٧). فكما أنّه من غير المعقول أن يرسل أحد أعصاب الجسد تعليمات خاطئة إلى الدماغ أو العين بهدف تضليل باقي الجسد عند اقتراب الخطر، هكذا أيضًا من غير المقبول أن يكذب المسيحي على أخيه المؤمن.

٤: ٢٦ أمّا الناحية الثانية من نواحي التجديد العملي في حياتنا فتتعلّق بالغضب المقدّس والغضب غير المقدّس. ففي بعض الأحيان يحقّ للمؤمن أن يغضب. فمثلاً عندما يكون شخص الله مُهانًا فالأمر لنا هو **اغضبوا**. ومع أنّ الغضب قد يكون أحيانًا مقدّسًا فهو في أحيانٍ أخرى قد يكون غضبًا آثمًا. فعندما يكون الغضب انفعالاً ناتجًا من شرّ أو حسد، ومرارة أو مشاكسة، أو بغضة ناتجة من تأذّيات شخصيّة، فهو عندئذ غير مسموح به. قديمًا قال أرسطو: "من السهل أن يغضب الإنسان؛ أي امرئ يستطيع هذا. أمّا أن نغضب على الشخص الصحيح، وللدرجة الصحيحة، في الوقت الصحيح، للغرض الصحيح، وبالطريقة الصحيحة؛ فهذا ليس بالأمر السهل".

إذا غضب المؤمن غضبًا غير مقدّس فعليه أن يعترف به ويتركه سريعًا. ويجب أن يعترف لله ولضحيّة غضبه معًا. ويجب ألاّ يغذّي مشاعر الحقد أو يضمر الاستياء ويحمل المرارة في قلبه. لذلك يكتب الرسول، **لا تغرب الشمس على غيظكم**. فيجب تصحيح أي أمر قد يعطّل شركتنا مع الله أو مع الإخوة مباشرةً.

٤: ٢٧ في حال عدم الاعتراف بخطايا الغضب فسوف يُعطي إبليس وطأة قدم ومركزًا للعمليّات. وهو قادر أن يجد الكثير منها دون مساعدة منّا. لذلك علينا ألاّ نتساهل مع الشرّ والغضب والحسد والحقد والشهوات الرديّة في حياتنا. فهذه الخطايا تشوه الشهادة المسيحيّة وتُعثر غير المؤمنين وتجرح المؤمنين وتؤذينا روحيًّا وجسديًّا.

٤: ٢٨ يوجّه الرسول بولس اهتمامه الآن إلى التناقض القائم بين السرقة والمشاركة. فالإنسان العتيق يسرق؛ والإنسان الجديد يشارك. لذلك اخلعوا العتيق وألبسوا الجديد! أمّا قول بولس للمؤمنين **لا يسرق السارق في ما بعد** فينفي كلّ ادّعاء بأنّ المؤمنين المسيحيّين كاملون وبلا خطيّة. فهم ما زالوا يملكون الطبيعة القديمة الشريرة المُحِبّة للذات، والتي يجب أن يحسبوها ميتة في حياتهم اليوميّة. ويمكن أن تتّخذ السرقة أشكالاً عدّة، من سرقة علنية إلى عدم دفع للديون، أو حتى الشهادة للمسيح على حساب وقت ربّ العمل، أو انتحال الآراء، أو استخدام موازين غشّ، أو تزييف حسابات المصروف. هذا وإنّ هذه الوصيّة ضد السرقة ليست جديدة، فالناموس الموسوي حرّم السرقة (خر ٢٠: ١٥). أمّا ما يعطي هذه الوصيّة طابعًا مسيحيًّا فهو التالي: ليس علينا فقط أن نمتنع عن السرقة، بل علينا أيضًا أن **نعمل** في مهنة شريفة لكي نستطيع أن نُعين مَن هم في احتياج. فالنعمة لا الناموس هي مصدر القوّة للقداسة. والنعمة وحدها هي التي تستطيع أن تحول الإنسان من سارق إلى فاعل خير.

إنّ هذا التغيير الذي تتحدّث عنه الآية هو جذري وثوروي. فالأمر الطبيعي هو أن يعمل الإنسان لتسديد حاجاته الخاصة ورغباته. وعندما يرتفع دخل الناس يرتفع معه مستوى الحياة التي يعيشونها، فكلّ شيء في حياتهم يدور حول الذات. أمّا هذه الآية فإنّها تعطي نظرة أمجد وأنبل للأشغال الدنيويّة. فالعمل هو واسطة لتأمين مستوى مقبول من الحياة لعائلاتنا لكنّه أيضًا واسطة للتخفيف من وطأة **الاحتياج** البشري، الروحي والزمني معًا، إن في بلادنا أو في البلدان الأخرى؛ وما أكبر هذا **الاحتياج**!

٤: ٢٩ ينتقل الرسول بولس الآن إلى موضوع «الكلام»، ويرسم التناقض القائم بين ما يبني وما هو عديم الفائدة. فالكلام **الرديء** هو الحديث البذيء وغير اللائق؛ ويشمل هذا النكات الفاضحة وكلام التجديف والقصص القذرة. لكن الآية هنا تعني على الأرجح أي شكل من أشكال الكلام الفارغ البطّال وغير اللائق والعديم النفع. ويتناول بولس موضوع الكلام القذر والفاسد في ٥: ٤؛ لكنّه يطلب منّا هنا أن نتخلّى عن الحديث غير النافع ونستبدل به الأحاديث البنّاءة. ويجب أن يكون حديث المؤمن المسيحي:

**بنّاءً**: فيجب أن ينتج عنه بنيان للسامعين.

**حسب الحاجة**: يجب أن يكون ملائمًا لمناسبة الكلام.

**ذا نعمة**: يجب أن يعطي كلام المسيحي نعمةً للسامعين.

٤: ٣٠ **ولا تحزنوا روح الله القدّوس الذي به خُتمتم ليوم الفداء**. إذا ما قرنّا هذه الآية بالسابقة فهي تعني أنّ الحديث البطّال يحزن الروح القدس. كما بإمكاننا أن نقرنها أيضًا بالآيات ٢٥-٢٨ فنستنتج أنّ الكذب والغضب غير المقدّس والسرقة، كلّها أمور تحزن الروح أيضًا. وبشكل عام قد تعني هذه الآية أنّه علينا أن نمتنع عن كلّ ما يمكن أن يحزن الروح القدس في حياتنا.

ويقدّم الرسول بولس ثلاثة أسباب قويّة لهذا الطلب:

١- إنّه الروح القدس. فكلّ ما ليس من القداسة مكروه لديه.

٢- إنّه روح الله القدس، وهو أحد أقانيم الثالوث الأقدس.

٣- لقد **ختمنا به ليوم الفداء**. ويشير الختم إلى الملكيّة والضمان كما سبق أن ذكرنا. فالروح القدس

هو الذي يضمن الحفاظ علينا حتى يجيء المسيح إلينا ويكمل خلاصنا. هذا وتجدر الملاحظة هنا إلى أنّ الرسول بولس يستخدم الضمان الأبدي للمؤمن كأحد أقوى الأسباب التي تدعونا إلى الامتناع عن الخطيّة.

أمّا حقيقة إمكانيّة إحزان الروح فترينا أنّ الروح القدس هو شخص وليس مجرّد تأثير. وهذا يعني أيضًا أنّه يحبّنا، لأنّ الشخص الذي يحبّ هو الذي يمكن أن يُحزَن. إنّ الخدمة الرئيسيّة التي لروح الله هي تمجيد المسيح وتغيير المؤمن ليشابه صورة المسيح (٢كو٣: ١٨). لكن عندما يخطئ المؤمن يتحوّل الروح عن هذه الخدمة إلى خدمة ردّ النفس. فهو يحزن عندما يرى أن الخطيّة قطعت تقدّم المؤمن روحيًّا. لذلك فإنّ عمله إذ ذاك هو أن يقود المؤمن المسيحي إلى حالة التوبة والاعتراف بالخطيّة.

**٤: ٣١** يجب طرح كلّ خطايا اللسان والمزاج، ويعدّد الرسول بولس بعضًا منها. ومع أنّنا لا نستطيع فصل كلّ واحدة عن الأخرى بدقّة فالمعنى الإجمالي واضح:

**المرارة**: وتعني الاستياء المكبوت وعدم الرغبة في المسامحة والمشاعر الحاقدة.

**السّخط**: ويعني ثورة الغيظ الشديد وشدّة الانفعال واحتداد المزاج.

**الغضب**: وهو ضيقُ الخُلق وفَورانه، والضغينة والعداء.

**الصياح**: وهو الصراخ الشديد الناتج من الغضب والتوبيخ القاسي أو المشاحنة الحادّة وإسكات الخصم.

**التجديف**: وهو الكلام المهين والافتراء والكلام البذيء.

**الخبث**: وهو تمنّي الشرّ للآخرين وإضمار الحقد والدناءة.

**٤: ٣٢** يجب التخلّص كليًّا من خطايا المزاج التي سبق ذكرها، لكن يجب ملء الفراغ بتنمية الصفات المشابهة للمسيح في حياتنا. والخصائص السابقة هي شرور طبيعيّة، أمّا الخصائص التالية فهي فضائل فائقة لما هو طبيعيّ:

**اللطف**: وهو الاهتمام بخير الآخرين بغير أنانيّة، والرغبة في خدمتهم ولو كلّف ذلك تضحية كبيرة.

**الشفقة**: وهي الاهتمام الودّي والعاطفي الحنون بالآخرين والرغبة في حمل أثقالهم.

**التسامح**: وهو الاستعداد لغفران التعدّيات، والتغاضي عن الإساءات المرتكبة بحقّ الإنسان مع عدم إضمار أيّة نيّة للانتقام.

أعظم مثال على المسامحة هو الله نفسه. أمّا أساس غفرانه فهو عمل المسيح الكفاري على الصليب، والمغفور لهم هُم نحن غير المستحقّين. لم يكن باستطاعة الله أن يغفر الخطيّة بلا عمل يؤمّن الكفّارة اللازمة. وقد أمّن في محبته العجيبة الكفّارة المناسبة التي تطلّبها برّه. ففي المسيح، أي في شخصه وعمله، وجد الله الأساس العادل الذي يستطيع بموجبه أن يغفر لنا.

فبما أنّه سامحنا ونحن مديونون له بملايين الدينارات، يجب علينا أن نسامح الآخرين وهم مديونون لنا بدينارات قليلة (مت١٨: ٢٣-٢٨). ويعطي لنسكي *Lenski* النصيحة التالية فيقول:

> في اللحظة التي فيها يخطئ إليّ إنسان ما، يجب عليّ أن أسامحه. عندئذ تكون نفسي حرّة. لأنّني إذا أضمرت الإساءة إليه فسأخطئ إلى الله وإليه وأعرّض الغفران الذي نلتُه من الله للخطر. فلا فرق، سواءٌ أظهر الشخص توبة أو أصلح الموقف أو طلب الغفران، أم لم يفعل أيًّا من هذه الأمور، ما دُمت قد

سامحته على الفور. وعليه أن يواجه الله بالنسبة إلى الإساءة التي فعلها؛ لكنّ هذه مسئوليّته تجاه الله وليست مسئوليّتي، إلاّ إذا وجب عليّ أن أساعده بحسب متى ١٨: ١٥... لكن بغضّ النظر عن كونه سيتمّم واجباته تجاه الله وتجاهي أم لا، وحتّى قبل أن يبدأ بفعل ذلك، يجب عليّ أن أسامحه.

**٥: ١** يبني بولس طلبه هنا على مثال الله في الغفران، ذاك المثال الذي تحدث عنه في ٤: ٣٢. أمّا صلة الوصل بين الآيتين فهي التالية: ما دام الله قد سامحكم في المسيح فيجب أن **تتمثّلوا بالله** في مسامحة بعضكم بعضًا. ويذكر بولس الحافز الخاصّ لمثل هذا التصرّف فيقول: **كأولاد أحبّاء**. ففي الحياة الطبيعيّة يتحلّى الأولاد بصفات التشابه العائلي وعليهم أن يسعوا وراء رفع اسم العائلة التي ينتمون إليها. أمّا في الحياة الروحيّة فيجب علينا أن نظهر الآب للعالم ونسعى للسلوك بحسب ما يليق بمركزنا من حيث كوننا **أولاده** الأحبّاء.

**٥: ٢** ويقدّم بولس طريقة أخرى يجب علينا أن نشابه الربّ بها، وهي أن نسلك **في المحبّة**. **والسلوك في المحبّة** يعني أن نبذل نفوسنا من أجل الآخرين. وهذا ما فعله ربّنا يسوع مثالنا الكامل. ما أعجب هذه الحقيقة، فهو قد أحبّنا وبرهن محبّته لنا إذ بذل للموت نفسه على صليب الجلجثة عوضًا عنّا.

ويصف الرسول تقدمة المسيح قائلاً: **قربانًا وذبيحة لله**. **والقربان** هو أي شيء نقدّمه لله؛ أمّا **الذبيحة** هنا فتتضمّن عنصرًا إضافيًّا وهو الموت. فالمسيح كان ذبيحة المحرقة الحقيقيّة، إذ كان على استعداد كامل لعمل مشيئة الله حتى الموت على الصليب. ويصف بولس ذبيحة المسيح الكفّارية الفائقة المقترنة بالتكريس الكليّ لله بأنّها **رائحة طيّبة**. ويعلّق ف.ب. ماير *F. B. Meyer* على هذا بالقول، "إنّ محبّة المسيح التي لا تعرف حدودًا ولا تحسب ثمنًا من نحو أناس لا يستحقونها بالطبيعة، كانت مشهدًا ملأ السماوات عبيرًا وقلب الله فرحًا".

لقد أرضى الربّ يسوع الله أباه إذ بذل نفسه من أجل الآخرين. والدرس الذي نتعلّمه هو أنّه باستطاعتنا أن نُدخل الفرح إلى قلب الله ببذل نفوسنا لأجل الآخرين.

ربي أجعل شعاري أن يكون:
الآخرين، نعم الآخرين،
وأعِنّي أن أتشبّه بك يا ربّ
إذ أحيا لأجل الآخرين.

*شارلز مايغز Charles D. Meigs*

**٥: ٣** يعود الرسول في الآيتين ٣و٤ إلى معالجة موضوع الخطايا الجنسيّة ويدعو المؤمنين بشكل قاطع لانفصال مقدّس عنها. ويسمّي في البداية مختلف أشكال الخطايا الجنسيّة:

**الزنى**: كلّما يرد ذكره يعني العلاقة الجنسية بين أشخاص غير مرتبطين معًا بالزواج المقدّس. لكنّ الكلمة الأصليّة المستخدمة هنا تشمل كلّ أنواع الفساد الجنسي.

**النجاسة**: وهذه الكلمة تعني أيضًا أفعال الزنى والفسق. لكنّها قد تشمل أيضًا الصور الداعرة والكتب النجسة وكلّ المواد الأخرى المثيرة التي تشعل نيران الشهوة وتتماشى مع حياة الفساد الخُلقي.

**الطمع**: مع أنّ الكلمة تعني عادة شهوة الامتلاك المادي، فهي هنا تشير إلى الرغبات الشهوانيّة؛ أي النّهم المستمر لإشباع الرغبات الجنسيّة خارج إطار العلاقة الزوجيّة (أنظر خر ٢٠: ٧: «لا تشته... امرأة قريبك»).

ثم إنَّ هذه الخطايا يجب ألا تُسمّى بين المؤمنين المسيحيِّين. من المفروغ منه أنّه يجب ألاَّ تسمّى هذه الأمور كأنّها ارتُكبت من المؤمنين. ويجب ألاَّ يُشار إليها بطريقة تخفّف من بشاعتها وشناعة خطيّتها. ولأنّه يوجد دائمًا خطر كبير في التحدّث عنها بخفّة واختلاق الأعذار لها، بل البوح المتبادَل بها باستمرار وبطريقة حميمة، فالرسول بولس يُرفق تحريضه بالقول: **كما يليق بقدّيسين**. فالمؤمنون قد فُصِلوا عن الفساد المنتشر في العالم؛ ويجب عليهم أن يعيشوا الآن في انفصال عملي عن الأهواء المُظلمة بالفعل والكلام.

٥: ٤ ويجب أيضًا أن يكون كلام المؤمنين خاليًا من كلّ أشكال:

**القباحة**: وهي تشير إلى القصص الدَّنسة والنكات الفاضحة ذات الطابع الجنسي وكلّ أشكال كلام النجاسة والدعارة.

**كلام السفاهة**: وهو الحديث الفارغ الذي لا يليق إلاَّ بالمغفَّلين. وقد يتضمَّن هنا أحاديث "أبناء الشارع".

**الهزل**: وتعني الكلمة النكات والكلام الفارغ الذي يحمل المعاني الخفيّة. فالتحدّث عن الشيء والتنكيت عليه، وجعله موضوع الكلام باستمرار، يُدخله إلى ذهن المؤمن ويقرّب المؤمن من ارتكاب هذا الأمر فعلاً.

إنّه لمن الخطر دائمًا أن نمزح بشأن الخطيّة. فعلى المسيحي أن يدرّب نفسه على **الشكر** المستمرّ لله من أجل كلّ بركاته ومراحمه في الحياة بدلاً من أن يستخدم لسانه في أحاديث كهذه غير مفيدة ولا تليق. فالشكر يرضي الربّ ويقدّم مثالاً جيّدًا للآخرين ويفيد نفس المؤمن.

٥: ٥ إنَّ موقف الله من الذي يرتكبون النجاسات الخُلقيّة واضح وصريح: **ليس لهم ميراث في ملكوت المسيح والله**. وهذا القرار يتناقض كثيرًا مع موقف العالم القائل بأنّ مثل هؤلاء ما هم إلاَّ مرضى بحاجة إلى علاج نفسي. فالله يدعو الفحشاء خطيّة إن كان الناس يدعونها مجرّد مرض. الله يدينها والناس قد يتغاضون عنها. الله يقول إنّ الحلّ هو ولادة الإنسان من جديد؛ والناس يقولون بأنّ الحلّ هو في التحليل النفسي.

ويذكر الرسول ثلاثة أنواع من المتعدِّين، نجدهم أيضًا في الآية ٣: **الزاني والنجس والطمّاع**. ويضيف بولس واصفًا الطمّاع بأنّه **عابد وثن**. أمّا السبب الذي دعي لأجله عابد وثن فهو أنّ عنده انطباعًا خاطئًا عن الله: فهو يفتكر أنّ الله كائن يوافق على الطَّمع الشهواني، وإلاَّ لما كان الطمّاع تجرّأ على الطمع. والسبب الثاني لكون الطَّمع مرادفًا لعبادة الأوثان هو أنّه يضع إرادة الإنسان الذاتيّة قبل إرادة الله. أمّا السبب الثالث فهو أنّه ينتهي بعبادة المخلوق عوضًا عن الخالق (رو١: ٢٥).

عندما يقول الرسول بولس إنّ أناسًا كهؤلاء **ليس لهم ميراث في ملكوت الله** فهو يعني يقينًا أنّ الذين تتميّز حياتهم بمثل هذه الخطايا محكوم عليهم بالهلاك. إنهم هالكون بخطاياهم وفي طريقهم إلى الجحيم؛ فهم غير موجودين في الوقت الحاضر في **ملكوت** الله غير المنظور؛ ولن يوجدوا في **الملكوت** عندما يأتي المسيح ليملك، وسيُمنعون إلى الأبد من الدخول إلى **الملكوت** الأبدي في السماء. هذا، ولا يعني قول الرسول بولس هنا، كما يعتقد قومٌ، أنّ هؤلاء الناس، مع كونهم في **الملكوت**، سيخسرون المكافآت أمام كرسي المسيح. فالموضوع هنا ليس موضوع المكافآت بل الخلاص. ومع أنّهم قد يعترفون بالإيمان المسيحي، فإنّ حياتهم تبرهن أنّهم لم يذوقوا طعم الخلاص البتّة. لكن باستطاعتهم أن يخلصوا إن هم وضعوا ثقتهم بالربّ يسوع

في توبة صادقة وإيمان. فإنّهم لو كانوا اهتدوا بالحقيقة لَما استمرّوا في ممارسة هذه الخطايا.

وتجدر الملاحظة هنا أنّ عبارة **ملكوت المسيح والله** تتضمّن أُلوهيّة المسيح. فهو موضوع على المستوى عينه مع الله الآب بوصف كليهما رئيسًا حاكمًا في الملكوت.

**٥: ٦** يقف كثيرون من أهل العالم اليوم موقفًا ليّنًا ومتساهلاً إزاء الخطايا الجنسيّة. فهم يدّعون بأنّ إرضاء الرغبات الجسديّة ضروريّ ومفيد لأنّ كبت هذه الرغبات يخلّف شخصيّات منحرفة ومكبوتة. ويقولون أيضًا بأنّ القيم الأخلاقيّة موضوع يرتبط كليًّا بحضارة البلاد التي نعيش فيها؛ وبما أنّ النشاط الجنسي قبل الزواج وخارج الزواج والذي على خلاف الطبيعة (الأمور التي تدينها كلمة الله صراحة) مقبول في بعض الحضارات، فلذلك يجب أن تُصبح شرعيّة كما يزعمون. ومن المثير للدهشة أنّ بعض المنادين بتشريع الخطايا الجنسيّة يشغلون مناصب رفيعة في الكنيسة الاسميّة. وهكذا فإنّ عامة الشعب الذين كانوا ينظرون إلى النجاسة على أنّها خطيّة يجدون الآن تطمينًا من بعض كبار رجال الدين بأنّ هذا الموقف تخطّاه الزّمن.

لكن يجب ألاّ ينخدع المسيحيّون المؤمنون بمثل هذا الكلام المزدوج، **لأنّه بسبب هذه الأمور يأتي غضب الله على أبناء المعصية**. وقد سبق الربّ فأعلن موقفه من هذه الخطايا، الزنى والنجاسة، في سفر العدد ٢٥: ١-٩. لقد سقط أربعة وعشرون ألف قتيل من بني إسرائيل عندما زنى الشعب مع بنات موآب. وأظهر الربّ أيضًا موقفه من الشذوذ الجنسي عندما دمّر سدوم وعمورة بالنار والكبريت من السماء (تك١٩: ٢٤، ٢٨).

لكن غضب الله ليس محصورًا بأفعال الدينونة الخارقة التي يأمر بها من السماء. فالذين يمارسون الخطايا الجنسيّة يُعانون دينونته بطرق أخرى أيضًا. فهناك النتائج الجسديّة التي تخلّفها مثل هذه الخطايا كالأمراض الزهريّة ومرض الآيدز. كما يولّد الشعور بالذنب اضطرابات عقلية وعصبيّة وعاطفيّة متنوّعة. وهناك أيضًا التغيّرات في الشخصيّة حيث يصبح المتخنّث أكثر تخنّثًا (رو١: ٢٧). وبالطبع سوف تكون هناك دينونة الله النهائيّة والأبديّة التي ستأتي على الفجّار والزناة (عب١٣: ٤). فلن يظهر الله أي شفقة على أبناء المعصية - أي **أبناء آدم** العاصي الذين شاؤوا أن يتبعوه مختارين طريق العصيان على الله (رؤ٢١: ٣).

**٥: ٧** يحذّر الرسول المؤمنين بشدّة من الاشتراك في أعمال الفجور هذه. فعملٌ كهذا يجلب العار على اسم المسيح كما يجلب الدمار على حياة الآخرين، ويحطّم شهادة الإنسان، ويستدعي سيلاً من التأديب.

**٥: ٨** يتكلّم الرسول الآن عن **الظلمة والنور** بخطاب بليغ (٨-١٤) داعمًا النهي الصريح الذي أعطاه في الآية ٧ بعدم مشاركة أهل الظلمة. فالمؤمنون **في أفسس كانوا قبلاً ظلمة وأمّا الآن فهم نور في الربّ**. ولا يقول إنّهم كانوا في الظلمة، بل كانوا هُم أنفسهم تجسيدًا للظلمة. أمّا الآن فقد أصبحوا نورًا من طريق اتّحادهم بالمسيح. فالمسيح نورٌ وهم فيه، لذلك **هم الآن نور في الربّ**. وإذ يجب أن تتماشى حالتهم العمليّة مع مقامهم، عليهم أن **يسلكوا كأولاد نور**.

٥: ٩ تشرح هذه العبارة المعترضة هنا نوع الثمر الذي ينتج عن الذين يسلكون في النور.

**فإنّ ثمر الروح هو في كلّ صلاح وبر وحقّ.** الصلاح هنا يشمل كلّ أنواع الفضائل الأخلاقيّة. أمّا البر فيعني الاستقامة في معاملاتنا كلّها، سواء كان مع الله أو مع الناس. **والحقّ** هو العدل والاستقامة والصدق. وإذا وضعنا هذه الصفات معًا نرى نور الحياة الممتلئة بالمسيح والتي تضيء في عالم تلفّه الظلمة الحالكة.

٥: ١٠ إنّ الذين يسلكون في النور لا يعطون الثمار المذكورة في الآية السابقة فقط بل أيضًا **يختبرون ما هو مرضي عند الربّ.** فهم يُخضعون كلّ فكر وكلّ كلمة وكلّ عمل للاختبار. وهكذا يسألون أنفسهم: ما رأي الربّ في هذا الأمر؟ هل يليق فعل هذا الشيء في محضره؟ وإذ ذاك تغدو كلّ ناحية من نواحي الحياة تحت الضوء الكاشف: الأحاديث، مستوى المعيشة، الثياب، الكتب، الأشغال، التسليات، المسّرات، الأثاث، الصداقات، العطلات، السيّارات، الرياضات، إلخ...

٥: ١١ ويجب على المؤمنين ألاّ تكون لهم شركة مع **أعمال الظلمة غير المثمرة**، سواء كان من طريق الاشتراك فيها أو باتّخاذ موقفٍ منها يتّسم باللّين والتساهل. **فأعمال الظلمة** هذه هي **غير مثمرة** إن من جهة الله أو من جهة الناس. وميّزة العقم هذه هي التي دفعت الرسول بولس في السابق لأن يكتب للمسيحيّين في رومية: «فأيّ ثمر كان لكم حينئذ من الأمور التي تستحون بها الآن؟» (رو٦: ٢١). ثمّ إنّ هذه الأعمال هي **أعمال ظلمة**: فهي تابعة لعالم الأضواء الخافتة، والستائر المُسدَلة، والأبواب المقفلة، والغرف السريّة. وهي تبيّن أنّ الإنسان الطبيعي يفضّل الظلمة ويبغض النور لأنّ أعماله شريرة (يو٣: ١٩). ثم إنّ المؤمن مدعو لأن يوبّخ أعمال الظلمة غير المثمرة، لا لأن يمتنع فقط عن الاشتراك فيها. وهو يفعل ذلك بطريقتين: أوّلاً، بواسطة حياة القداسة التي يحياها، وثانيًا بكلمات التصحيح التي يتكلّم بها بإرشاد من الروح القدس.

٥: ١٢ هنا يشرح الرسول لماذا يجب على المؤمنين ألاّ يشتركوا في أعمال الظلمة بل بالحريّ يوبّخوها: إنّ الخطايا الفاضحة التي يرتكبها الناس في السرّ دنيّة لدرجة أنّ **ذكرها قبيح** فكم بالحريّ فعلها. فالخطيّة في أشكالها غير الطبيعيّة التي أخترعها الإنسان شرّيرة لدرجة أنّها تنجّس أذهان الذين يستمعون لوصفها. لذلك يُعلّم المسيحيُّ ألاّ يتحدّث عنها أيضًا.

٥: ١٣ يكشف النور كلّ ما يجري في الظلمة. لذلك فحياة القداسة المسيحيّة تُظهِر النقيض القائم في فجور الحياة الطبيعيّة. كما أنّ كلمات التوبيخ المناسبة تُظهِر الخطيّة في طبيعتها الحقيقيّة أيضًا. ويوضح بلايكي *Blaikie* هذا الأمر فيقول:

> كما حصل مثلاً عندما وبّخ ربّنا يسوع رياء الفرّيسيّين؛ لم يكن مدى شر أعمالهم واضحًا للتلاميذ قبلاً، لكن عندما سلّط المسيح عليهم نور الحقّ الساطع بانت أعمالهم على حقيقتها، وظهروا بمظهرهم الحقيقي البغيض الذي لازمهم بعد ذلك.

نقرأ في الجزء الأخير من الآية ١٣، **لأنّ كل ما أُظهر فهو نور.** وهذا يعني بكل بساطة أنّه عندما يقوم المسيحيّون بدورهم كنور في العالم، فإنّ الآخرين يُكشفون تحت ضياء النور. وما أكثر ما يتحوّل الناس الأشرار إلى أولاد للنور من خلال خدمة النور التوبيخيّة.

إلاّ أنّ الحال لا تكون دائمًا على هذا المنوال، إذ من الواضح أنْ ليس كل الذين يُظهرهم النور يصبحون مسيحيّين مؤمنين. لكنّ المبدأ العام في العالم الروحي أنّ النور يتكاثر. فإنّنا نجد توضيحًا لهذا المبدإ في ١بطرس٣: ١، حيث يعلّم الرسول الزوجات المؤمنات أن يربحنّ أزواجهنّ للمسيح بواسطة مثال الحياة التي يعشنها: «كذلكنّ أيّتها النساء كنّ خاضعات لرجالكنّ حتى وإن كان البعض لا يطيعون الكلمة يُربحون بسيرة النساء بدون كلمة». وهكذا فإنّ نور الزوجات المسيحيات يتغلّب على ظلمة الرجال الوثنيّين ويصبح هؤلاء الآخرون نورًا.

**٥: ١٤** يجب أن تكون حياة المؤمن دومًا عظةً عمليّة حيّة، وأن تكون باستمرار فضحًا للظلمة المحيطة، وأن تكون أيضًا دعوة مستمرّة للخطاة تقول: «**استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضيء لك المسيح**».

هذا هو صوت النور الذي يتكلّم للذين ينامون في الظلمة ويضطجعون في الموت الروحي. فالنور يدعوهم إلى الحياة والاستنارة. وفي حال استجابتهم للدعوة يُضيء المسيح عليهم ويمنحهم النور. وثمة مَن يفسّر هذه الدعوة إلى الاستيقاظ باعتبارها موجّهة إلى المؤمن «النائم» أي المتهاون المُتراخي، لكي ينهض من غفلته الروحيّة ويتمتّع بنور المسيح البهيّ ويعيش منفصلاً عن حياة الشرّ.

**٥: ١٥** يعرض الرسول بولس في الآيات السبع الآتية التناقض القائم بين السلوك بجهل والسلوك بالتدقيق، وذلك بواسطة سلسلة من النصائح السلبيّة والإيجابيّة.

أمّا الأولى فهي دعوة عامة للقرّاء لكي **لا يسلكوا كجهلاء بل كحكماء**. والسلوك، كما سبق ذكره، كلمة رئيسيّة في هذه الرسالة: فهي مذكورة سبع مرات للإشارة إلى كامل النشاطات التي في الحياة الفرديّة. **والسلوك بالتدقيق** هو العيش بطريقة تليق بالنور الذي لنا بوصفنا أولاد الله. بينما يعني **السلوك كجهلاء** أن ننزل من هذا السموّ إلى مستوى سلوك أهل العالم.

**٥: ١٦** هذا ويدعونا **السلوك بحكمة إلى افتداء الوقت** أو شراء الفرص. فكلّ يوم يجلب معه أبوابه المفتوحة وإمكانيّاته الواسعة. وافتداء الوقت يعني أن نحيا حياة تتّصف بالقداسة، ونعمل أعمال الرحمة، ونتكلّم بكلمات المعونة. وأمّا السبب في إلحاحيّة هذه المسألة فهو الطابع **الشرير للأيّام** التي نعيش فيها. فهي تذكّرنا بأنّ الله لن يجاهد مع الإنسان على الدوام، وسينتهي يوم النعمة قريبًا وستنتهي معه، إلى الأبد، كلّ فرص العبادة والشهادة والخدمة على الأرض.

**٥: ١٧** لذلك يجب ألاّ **نكون أغبياء بل فاهمين ما هي مشيئة الربّ**، وهذا الأمر هامّ جدًّا. فبسبب الشرّ المستفحل وقِصَر الوقت قد نُجرَّب في صرف أيّامنا في نشاطات مسعورة وقَلِقَة من اختيار أنفسنا. لكنّ ذلك لا يؤدّي إلا إلى هدر طاقاتنا. لذلك فأهمّ شيء هو أن نعرف مشيئة الله لنا لكل يوم وأن نفعلها لأنّ هذه هي الطريقة الوحيدة التي ننجح ونثمر فيها. ومن الممكن جدًّا أن ننصرّف للعمل بحسب أفكارنا وقوانا الخاصة فنكون خارج **مشيئة الربّ** كليًّا. أمّا طريق الحكمة فهي بأن نميّز **مشيئة الله** لحياتنا الشخصيّة ونطيعها لتوّنا.

**٥: ١٨ ولا تسكروا بالخمر، الذي فيه الخلاعة.** يظهر هذا النهي غريبًا في بعض الحضارات، لأنّ الامتناع عن الخمر هو القاعدة المألوفة عند كثيرين من المؤمنين. لكن يجب أن نتذكّر أنّ الكتاب المقدّس كُتب للمؤمنين في كلّ الحضارات، وما تزال الخمر في كثير من البلدان هي الشراب المعتاد على المائدة. إنّ الكتاب لا يدين استخدام الخمر لكن يدين إساءة استخدامها. إنّ استخدام الخمر كدواء أمر منصوح به في الكتاب (أم٣١: ٦؛ ١تي٥: ٢٣). والرب يسوع قد وفّر الخمر لتُشرب في عرس قانا الجليل (يو٢: ١- ١١).

هذا وتُحدِّد الظروف التاليّة متى يكون استخدام الخمر سيِّئًا وبالتالي محرّمًا:

١- عندما يؤدّي استخدامها إلى الإفراط في الشرب (أم٢٣: ٢٩-٣٥).

٢- عندما يؤدّي إلى الإدمان فيصبح عادة (١كو٦: ١٢ب).

٣- عندما يجرح ضمير الأخ الضعيف (رو١٤: ١٣؛ ١كو٨: ٩).

٤- عندما يسيء إلى شهادة المسيحيّ في المجتمع فيغدو بالتالي غير ممجِّد لله (١كو١٠: ٣١).

٥- عندما يكون في قلب المؤمن أيّ شكّ بشأنه (رو١٤: ٢٣).

أمّا وصية الرسول بولس البديلة لعدم السكر بالخمر فهي **الامتلاء بالروح القدس**. وقد نُدهش أول وهلة من هذا الترابط بين الوصيتين، لكن عندما نفحص أوجه المقارنة وأوجه التناقُض بين الحالتين ندرك لماذا ربط الرسول بين الأمرين بهذا الشكل.

لنلاحظ أوّلاً أوجه الشبه التالية:

١- في الحالتين، يكون الإنسان تحت سيطرة قوّة خارجيّة. ففي الحالة الأولى تكون السيطرة لقوّة المسكر (الذي يسمّى أحيانًا "مشروب روحي"!)؛ أمّا القوّة في الحالة الثانية فهي قوة الروح.

٢- في الحالتين، يكون الإنسان حارًّا. وقد ظنّ الناس في يوم الخمسين أنّ الحرارة التي أحدثها روح الربّ هي حرارة المسكر (أع٢: ١٣).

٣- في الحالتين، يتأثّر سلوك الإنسان. في حالة السكر تتأثّر مشيته الجسديّة، وفي الحالة الثانية يتأثّر سلوكه الخُلقي.

أمّا الأمران اللّذان يظهر فيهما تناقض حادّ بين الحالتين فهما:

١- في حالة السُكر نجد **الخلاعة** والفساد الخُلقي. وفي حالة الامتلاء بالروح لا يحصل ذلك أبدًا.

٢- في حالة السُكر يفقد المرء السيطرة على النفس. أمّا أحد ثمار الامتلاء بالروح فهو ضبط النفس (التعفُّف) (غل٥: ٢٣). فالمؤمن الممتلئ بالروح لا يمكن أبدًا أن يخرج عن طوره ويفقد السيطرة على تصرّفاته؛ وأرواح الأنبياء خاضعة دائمًا للأنبياء أنفسهم (١كو١٤: ٣٢).

أحيانًا يبدو في الكتاب المقدس أنّ **الامتلاء بالروح** هو موهبة خاصّة من الله. فيوحنا المعمدان مثلاً **امتلأ بالروح** القدس من بطن أمّه (لو١: ١٥). لكن في حالة كهذه يأخذ الشخص الروح دون تحقيق منه لأيّة شروط مُسبقة. فهذا الامتلاء ليس أمرًا يسعى إليه أو يصلّي لأجله. بل إنّ الربّ يعطيه بحسب مسرّته. أمّا في

أفسس ٥: ١٨ فالمؤمن مطالَب **بالامتلاء بالروح**، وهذا يتطلّب عملاً من قِبَله إذ عليه أن يحقّق بعض الشروط، لأنّ الأمر ليس تلقائيًّا بل هو نتيجة الطاعة.

ولهذا السبب يجب أن نميّز بين الامتلاء بالروح وبعض الأعمال الأخرى التي يقوم بها الروح. فالامتلاء بالروح ينبغي ألا يُخلَط مع أي من الأمور التاليّة:

١ـ معموديّة الروح القدس. فالمعموديّة هي العمل الذي به يُدخِل الروحُ المؤمن في جسد المسيح (١كو١٢: ١٣).

٢ـ سكنى الروح. ففي هذه الخدمة يتّخذ المعزّي مسكنه في جسد المسيحي المؤمن ويمنحه القوّة للقداسة والعبادة والخدمة (يو١٤: ١٦).

٣ـ المسحة. إنّ الروح نفسه هو المسحة التي تعلّم أولاد الله الأشياء التي من الربّ (١يو٢: ٢٧).

٤ـ العربون والختم. لقد رأينا في ما سبق أنّ الروح القدس إذ هو «عربون» يضمن الميراث للقدّيسين، وإذ هو «ختم» يضمن القدّيسين للميراث (أف١: ١٣، ١٤).

هذه بعض خدمات الروح القدس، وهي تُجرى في المؤمن لحظة خلاصه. فكلّ من يؤمن بالمسيح ويصير فيه، يحصل تلقائيًّا على معموديّة الروح وسكناه ومسحته وعربونه وختمه.

لكنّ الامتلاء بالروح يختلف عما سبق ذكره. فهو ليس اختبارًا مميّزًا يحصل عليه التلميذ مرّة واحدة في الحياة؛ بل عملية تجري باستمرار. فالترجمة الحرفيّة للوصيّة هي هكذا، «كونوا ممتلئين بالروح». وقد يبدأ الأمر باختبار مميّز لكنّه يجب أن يستمرّ في ما بعد في اختبار الحياة اليوميّة. فامتلاء اليوم لا ينفع للغد. ولا بدّ أن تكون حالة الامتلاء هذه رغبة الكثيرين. وهي في الواقع حالة المؤمن المثاليّة على الأرض. وهذا يعني أنّ الروح القدس يقوم بعمله في المؤمن المسيحي وهو نسبيًّا غير محزون في حياة المؤمن. وهذا يعني أيضًا أنّ المؤمن يحقّق بالتالي دوره في مخطّط الله لذلك الوقت.

لكن كيف يمكن للمؤمن أن **يمتلئ بالروح القدس**؟ لا يخبرنا الرسول بولس بهذا الأمر في رسالة أفسس؛ فإنّ الأمر لنا هو بالامتلاء. لكن يمكننا أن نعرف من أماكن أخرى في كلمة الله أنّه لكي نمتلئ بالروح يجب علينا أن نفعل التالي:

١ـ نعترف بالخطايا المعروفة في حياتنا ونطرحها عنا (١يو١: ٥ـ ٩). فمن الطبيعي ألاّ يقدر روح الله القدوس أن يعمل بحرية في حياة تتساهل مع الخطية.

٢ـ نقدّم ذواتنا للربّ بالكامل (رو١٢: ١، ٢). وهذا يتطلّب التسليم الكامل لإرادتنا وفهمنا وجسدنا ووقتنا ومواهبنا وكنوزنا. فكلّ ناحية من نواحي حياتنا يجب أن تُستودع لسيطرته الكاملة.

٣ـ نجعل كلمة المسيح تسكن فينا بغنًى (كو٣: ١٦). وهذا يتطلّب قراءة كلمة الله ودرسها وإطاعتها. فعندما تسكن فينا كلمة المسيح بغنًى فالنتائج التي تتبع (كو٣: ١٦) هي نفسها التي تأتي نتيجة الامتلاء بالروح القدس.

٤ـ أخيرًا يجب علينا أن نُخلي أنفسنا من الذات (غل٢: ٢٠). فلكي نملأ وعاءً معيّنًا بسائل ما، علينا أن نفرغه من القديم الذي فيه. لذلك يجب أن نفرغ نفوسنا من ذواتنا إذا أردنا **الامتلاء بالروح القدس**.

كتب أحدهم معلّقًا على هذا الموضوع قائلاً:

فكما تركتم عبء خطيّتكم بكامله واستراحتم على عمل المسيح الكامل، هكذا اتركوا أيضًا كلّ عبء الحياة والخدمة مستريحين على عمل الروح القدس الجاري في داخلكم. لذلك ضعوا أنفسكم كلّ صباح تحت سيطرة الروح القدس واستريحوا مسبّحين مستودعين ذواتكم للربّ لكي يدبّر نهاركم ويعتني بكم. عوّدوا أنفسكم خلال النهار الاتّكالَ على الربّ وإطاعته بفرح، متوقّعين منه أن يقودكم وينيركم ويقوّمكم ويعلّمكم ويستخدمكم ويعمل فيكم ومعكم ما يريده. فاتّكلوا على عمله الحاصل حتمًا بغضّ النظر عن البصر والإحساس. فقط دعونا نثق بالروح القدس ونطيعه كقائد حياتنا ولنكفّ عن محاولة تدبير نفوسنا بنفوسنا؛ عندئذٍ يظهر فينا ثمر الروح القدس كما يريد لمجد الله.

لكن هل يعلم الإنسان متى يكون **ممتلئًا من الروح القدس**؟ في الواقع، كلّما اقتربنا من الرب، أدركنا مقدار قداسته ومقدار خطيّتنا وعدم استحقاقنا (إش٦: ١-٥). ففي محضره لا نجد أيّ شيء في نفوسنا يدعو للفخر (لو٥: ٨). وفي حضرته لا نشعر بأي تعالٍ روحي على الآخرين، ولا بأيّ شعور بالاكتفاء الروحيّ. فالمؤمن **الممتلئ بالروح** يركّز دائمًا على المسيح لا على الذات.

ويمكن للمؤمن الممتلئ أن يتيقّن في الوقت نفسه أنّ الله يعمل في حياته ومن خلالها. وهو يرى الأشياء تحدث بشكل فائق الطبيعة؛ فالظروف تؤاتيه بشكل عجيب، والنفوس تشهد عمل الله فيه فتهتدي، والأحداث تجري وفق مخطّط زمنيّ إلهي. حتى قوى الطبيعة تعمل لصالحه؛ فهي تظهر كأنّها مربوطة بعجلات المركبة الإلهيّة. وهو يلاحظ هذا كله ويدرك أنّ الله يتحرّك لخيره ويعمل من خلاله؛ لكن مع هذا فهو يشعر أنّ كلّ الذي يحصل معه هو بمنأى من أيّ استحقاق شخصيّ. وهو يدرك في أعماق نفسه أنّ كلّ الذي يجري هو من الربّ الكامل.

**٥: ١٩** يذكر الرسول بولس الآن أربع نتائج لحالة الامتلاء بالروح القدس. أوّلاً، أنّ المسيحيّين الممتلئين بالروح القدس **يكلّمون بعضهم بعضًا بمزامير وتسابيح وأغاني روحيّة**. فالامتلاء الإلهي يفتح الفم فيتحدّث بأمور الربّ، ويوسّع القلب فيشارك الآخرين في تلك الأشياء. ومع أنّ بعضًا يعتبرون أنّ الفئات الثلاث هي أجزاء من سفر المزامير، فنحن نعتبر أنّ **المزامير** فقط هي كتابات داود وآساف والآخرين الموحى بها من الله. **والتسابيح** هي الترانيم غير الموحى بها والتي تُخصَّص للعبادة والحمد لله بشكل مباشر. أمّا **الأغاني الروحية** فتشمل كلّ الترنيمات الشعريّة ذات الطابع الروحيّ، وإن كانت لا تخاطب الربّ بشكل مباشر.

والنتيجة الثانية التي ترافق الملء هي الفرح الداخلي والتسبيح لله: **مترنّمين ومسبّحين في قلوبكم للربّ**. فالحياة الممتلئة بالروح هي ينبوع يتدفّق بالفرح (أع١٣: ٥٢). ولنا مَثَلٌ في زكريّا الذي سبّح للرب من كلّ قلبه عندما امتلأ بالروح القدس (لو١: ٦٧-٧٩).

**٥: ٢٠** النتيجة الثالثة هي الشكر: **شاكرين كلّ حين على كلّ شيء لله الآب في اسم ربّنا يسوع المسيح**. فحيثما يسيطر الروح القدس يسود الشكر لله والإحساس العميق بالتقدير ويظهر التعبير العفوي عنه. فالأمر ليس عَرَضيًّا بل متواصلاً. ولا يأتي الشكر من أجل الأمور المُسِرة فقط بل من أجل كلّ الأشياء. أي إنسان يستطيع الشكر على الشمس المشرقة، لكنّ الشكر على عواصف الحياة تلزمه قوّة الروح القدس. إنّ الطريق

الأقصر والأضمن للسعادة الكاملة هي التالية:

عوِّد نفسك الشكر والحمد لله على كلّ الأشياء التي تحدث لك. فالمصيبة الظاهريّة الآتية عليك، مهما كانت، تتحوّل بالتأكيد إلى بركة إذا ما ابتدأت تشكر الله وتحمده عليها. ولو كان بإمكانك صنع المعجزات لما استطعت أن تفعل لنفسك أكثر مما لو كان عندك روح الشكر: فروح كهذه لا تحتاج إلى الكلمة المقولة وتحول كلّ ما تمسّه إلى السعادة (مختارات).

**٥: ٢١** أمّا النتيجة الرابعة للامتلاء بالروح القدس فهي أن تكونوا **خاضعين بعضكم لبعض في خوف الله**. ويعلّق إردمان *Erdman* على هذا الأمر قائلاً:

غالبًا ما تكون هذه العبارة مهمَلة... وهي تعطينا طريقة لامتحان روحانيّة المؤمن. وقليلاً ما يطبّقها المؤمنون... هذا ويشعر الكثيرون بأنّ هتافات الهللويا والترانيم الحماسيّة وكلمات الحمد والشكر التي تُقال بألسنة غير مفهومة، كلّها تدلّ على الامتلاء بالروح القدس. وكلّ هذه الأشياء قد تكون مزوّرة ومضلّة وبلا معنى. وأمّا الخضوع للمؤمنين الآخرين وبساطة التصرّف والتواضع، وعدم الرغبة في الخصام، والاحتمال والوداعة، فهي بالحقيقة دلائل قوة الروح القدس... ويجب أن يتمّ مثل هذا الخضوع المتبادَل بين الإخوة في مخافة الربّ، أي، في احترام الشخص الذي نعترف جميعنا أنّه ربُّ الجميع وسيّدهم.

هذه إذًا هي النتائج الأربع للامتلاء بالروح القدس: الكلام، الترنيم، الشكر، الخضوع. لكن يوجد على الأقلّ أربع نتائج أخرى:

١- الشجاعة في توبيخ الخطيّة (أع١٣: ٩-١٢)، وفي الشهادة للربّ (أع٤: ٨-١٢، ٣١؛ ١٣: ٥٢- ١٤: ٣).

٢- القوّة للخدمة (أع١: ٨؛ ٦: ٣، ٨؛ ١١: ٢٤).

٣- السخاء لا محبّة الذات (أع٤: ٣١، ٣٢).

٤- تعظيم المسيح (أع٩: ١٧، ٢٠) والله (أع٢: ٤، ١١؛ ١٠: ٤٤، ٤٦).

علينا أن نسعى بجديّة للامتلاء بالروح القدس، لكن نجد الله فقط وليس نجدنا نحن أبدًا.

### د. *مناشدة في سبيل التقوى الشخصية في البيت المسيحي* (٥: ٢٢-٦: ٩)

**٥: ٢٢** هنالك ارتباط شديد بين المقطع الحالي والآية السابقة، مع العلم بأنّ جزءًا جديدًا من الرسالة يبدأ الآن. ففي الآية السابقة ذكر الرسول أنّ الخضوع بعضنا لبعض هو من علامات الامتلاء الإلهي. أمّا في المقطع الحالي (من٥: ٢٢ - ٦: ٩) فيذكر الرسول بولس ثلاث نواح في البيت المسيحي حيث الخضوع هو مشيئة الله.

يجب على **النساء** أن يخضعن لرجالهنّ.

يجب على **الأولاد** أن يخضعوا للوالدين.

يجب على **الخدّام** أن يخضعوا لسادتهم.

إنّ حقيقة كون المؤمنين جميعهم واحدًا في المسيح لا تعني أنّ العلاقات الأرضيّة قد انتفت. يجب علينا أن نستمرّ في احترامنا للسلطات وأنواع الحكم التي أقامها الله. فكل مجتمع سليم التنظيم يرتكز على عمودين أساسيّين هما: السلطة والخضوع. يجب أن يوجد مَن يمارس السلطة، وأن يوجد أيضًا مَن يخضع لهذه السلطة. وهذا المبدأ مهمّ جدًّا حتّى إنّنا نجده قائمًا في

العلاقة بين المسيح والله: «ولكن أريد أن تعلموا أنّ... رأس المسيح هو الله» (١كو ١١: ٣). لقد رتّب الله الحكم البشريّ. ومهما كان الحكم شرّيرًا، فهو يبقى من وجهة نظر الله أفضل من عدم وجود الحكم؛ ويجب علينا أن نطيعه على قدر الإمكان بغير عصيان الربّ أو نكرانه. فعدم وجود السلطة يؤدّي إلى الفوضى ولا يمكن لأيّ مجتمع أن يعيش في حال الفوضى.

ويصحّ هذا الأمر أيضًا في البيت. فيجب أن يوجد رأس للبيت كما يجب أن تكون هناك طاعة لذلك الرأس. وقد عيّن الله أن يُعطى الرجل مركز الرأس في البيت، وأشار إلى ذلك إذ خلق الرجل أولاً ثم المرأة من أجل الرجل. وهكذا، ففي ترتيب الخليقة وهدفها وضع الله الرجل في مركز السلطة والمرأة في مركز الخضوع.

هذا ولا يتضمّن الخضوع معنى النقص أبدًا. فالربّ يسوع يخضع لله الآب، لكنّ ذلك لا يعني ولا بأيّ شكل أنّه أقلّ قدرًا منه. هكذا المرأة ليست أقلّ شأنًا من الرجل. ففي كثير من الأحيان قد تكون متفوّقة على الرجل في التكريس أو في العطف والإجتهاد والصبر البطولي. لكن الأمر للزوجات هو أن **يخضعن لرجالهنّ**، كما للربّ. فالزوجة، بخضوعها لسلطة زوجها، تخضع لسلطة الربّ. ويجب أن ينزع هذا الأمر كلّ موقف تردّد أو تمرّد.

إنّ التاريخ مليء بالأمثلة على الفوضى الناتجة من عدم الخضوع للنموذج الإلهي. فحواء، باغتصابها لمركز القيادة وأخذها دور زوجها في التصرّف، أدخلت الخطيّة إلى الجنس البشري مع كلّ نتائجها المدمّرة. أمّا في العصور الحديثة فإنّ بعض النساء اللواتي اغتصبن مركز السلطة الذي لم يقصد الله قطّ إعطاءه لهنّ أنشأنَ كثيرًا من البدَع الباطلة. فالنساء اللواتي يتركن دورهنّ المعيّن لهنّ من الله يمكنهنّ هدم كنيسة محليّة وتحطيم زواج وتخريب بيت بكامله.

ولكن بالمقابل لا يوجد أجمل من المرأة التي تحقّق دورها المُعطى لها من الله. ونجد في أمثال ٣١ وصفًا كاملاً لامرأة كهذه، وهو شهادة على مدى الأجيال للزوجة والأمّ التي ترضي الربّ.

**٥: ٢٣** أمّا سبب خضوع المرأة لرجلها فهو أنّ زوجها هو رأسها. وهو يشغل الدور نفسه الذي يشغله المسيح في علاقته بالكنيسة. **فالمسيح هو رأس الكنيسة وهو مخلّص الجسد.** (قد تحمل الكلمة **مخلّص** هنا معنى حافظ، كمعناها في ١تيموثاوس ٤: ١٠؛ راجع ترجمة داربي). وهكذا فإن **الرجل هو رأس المرأة** كما أنّه حافظها أيضًا. فبحكم كونه الرأس فهو يحبّ ويقود ويرشد؛ وبحكم كونه الحافظ فهو يوفّر الحاجات ويحمي زوجته ويعتني بها.

وجميعنا نعلم أنّه يوجد رفض لهذا التعليم في أيّامنا هذه. فالناس يتّهمون الرسول بولس بأنّه أعزب متعصب كاره للنساء وشديد التحيّز للرجال. أو يقولون إن نظريّاته تعكس العادات الاجتماعيّة التي كانت سائدة في أيّامه ولا يمكن تطبيقها في أيّامنا هذه. ونحن نعلم أنّ أقوالاً كهذه إنّما هي هجوم علنيّ على وحي الكتاب المقدّس. فهذه الكلمات ليست لبولس فقط، بل إنّما هي كلمات الله بالذات. ورفضها هو رفضٌ له ويؤدّي بالنتيجة إلى المصاعب والمصائب.

**٥: ٢٤** لا يمكن لأي شيء أن يرفع شأن دور الزوجة مثل تشبيهه بدور **الكنيسة** عروس **المسيح**. فخضوع الكنيسة هو المثال الذي يجب أن تتّبعه الزوجة. ويجب أن تخضع **في كل شيء**، أي كلّ ما يتوافق مع مشيئة الله. فإنّه لا يُتوقّع من أية امرأة أن تطيع رجلها إذا ما طلب منها أن تتهاون بولائها للربّ يسوع. لكنّها ينبغي أن تطيع زوجها في كلّ أمور الحياة الطبيعيّة الأخرى، حتى ولو كان زوجها غير مؤمن.

**٥: ٢٥** إذا كانت التوصيات السابقة للنساء موجودة لوحدها ولم ترافقها أيّة توصيات مقابلة بشأن الرجال، يكون هناك عندئذٍ تحيّز واضح في الأمر إن لم نقل إنّ لا عدل فيه أيضًا. لكن لاحظوا توازن الحقّ الجميل الذي نراه في الكتاب المقدّس والمستوى الموافق الذي يتطلبه من الرجال. فالأمر للرجال ليس بأن يحفظوا نساءهم في حالة الخضوع، لا بل هم مدعوون لأن **يحبّوا نساءهم كما أحبّ المسيح أيضًا الكنيسة**. لقد صدق القول الذي قال إنّه ما من امرأة تأبى الخضوع لزوج يحبها بقدر ما **أحب المسيح الكنيسة**. كتب أحدهم يخبر عن رجل كان يخاف أن يحزن الله لإفراطه في محبّة امرأته. عندئذٍ سأله أحد خدام الرب هل يحبّها أكثر ممّا **أحبّ المسيح الكنيسة**. فأجابه بالنفي. أجابه الخادم بالقول: "عندما تتعدّى ذلك الحدّ فقط، تكون محبّتك لامرأتك زائدة عن اللزوم".

ويعرض لنا الرسول بولس محبّة المسيح للكنيسة من خلال ثلاثة أفعال جليلة تمتدّ من الماضي إلى الحاضر فالمستقبل. ففي الماضي برهن المسيح على محبته للكنيسة إذ **بذل نفسه من أجلها**. وهذا إشارة إلى موته الكفّاري على الصليب. فقد دفع هناك أعظم ثمن لكي يقتني لنفسه عروسًا. وكما أنّ حواء أُخذت من جنب آدم، هكذا- إذا جاز المعنى- خُلقت **الكنيسة** من جنب المخلّص الجريح.

**٥: ٢٦** أمّا في الوقت الحاضر فمحبّة المسيح للكنيسة تظهر في عمل التقديس الذي يعمله فيها: **ليقدّسها مطهّرًا إيّاها بغسل الماء بالكلمة**. وأن **تقدّس** الشيء يعني أن تفرزه وتخصّصه لأمر معيّن. والكنيسة قد سبق أن تقدّست من حيث مقامُها؛ لكنّها عمليًّا تُفرِز نفسها للربّ يومًا بعد الآخر. فالكنيسة تجتاز عمليّة استعداد روحيّ وخُلقي شبيهة بسنة التجميل التي خضعت لها أستير قبل إحضارها إلى الملك أحشويرش (أس٢: ١٢-١٦). وتجري عمليّة التقديس هذه من طريق **غسل الماء بالكلمة**. وهذا يعني، ببسيط العبارة، أنّ حياة المؤمنين تنغسل من طريق سماعهم لكلمات المسيح وإطاعتها. وهكذا نفهم ما قاله المسيح لتلاميذه: «أنتم الآن أنقياء لسبب الكلام الذي كلمتكم به» (يو١٥: ٣). وقد ربط يسوع التقديس بالكلمة في صلاته الكهنوتية: «قدّسهم في حقّك، كلامك هو حقّ» (يو١٧:١٧). فكما أنّ دم المسيح يطهّر، مرّة وإلى الأبد، من الشعور بذنب الخطيّة وعقابها، هكذا فإنّ كلمة الله تطهّر باستمرار من آثار الخطيّة ونجاستها. ويشير هذا المقطع إلى أنّ الكنيسة تجتاز في الوقت الحاضر "تمامًا" لغسلها ليس بالماء الطبيعي، بل بكلمة الله المطهّرة.

**٥: ٢٧** في الماضي ظهرت محبّة المسيح في فدائنا. وفي الحاضر تظهر محبّته لنا في تقديسنا. أمّا في المستقبل فستتجلى تلك المحبة في تمجيدنا. فالمسيح نفسه سيحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن ولا شيء من مثل ذلك بل... مقدسة وبلا عيب. وهكذا ستصل الكنيسة على قمّة الجمال والكمال الروحيّ.

وقد علّق أ.ت. بيرسون *A.T.Pierson* قائلاً:

فكّر في هذا الأمر قليلاً. عندما تنظر عين الرب الكليّة العلم إلينا في النهاية لن يجد- تبارك

اسمه - في قداسته الكلية أيّ عيب، ولا حتى ما يمكن تشبيهه ببثرة أو شامة على وجه إنسان. ما أصعب تصديق هذا الأمر!

ويوافق ف.و. جرانت *F.W. Grant* على هذا إذ يقول:

لن يكون فيها أي أثر للشيخوخة، لا عيب مطلقًا؛ لن يليق بالربّ عندئذ إلاّ ريعان الشباب الأبديّ ولا نهائيّته، نضارة المشاعر التي لن تكلّ ولن تعرف الاضمحلال. فالكنيسة ستكون مقدّسة وبلا عيب عند ذاك. وبعد كلّ ما عرفناه من تاريخها يغدو من المستغرب أن نقرأ هذا عنها ما لم نعلم كيف يحفظ الله بمجد نصرته على الخطيّة والشرّ.

**٥: ٢٨** بعدما ارتفع الرسول بولس محلّقًا في هذه الرائعة التي تتحدّث عن محبّة المسيح للكنيسة، ها هو الآن يرجع ليذكّر الرجال بأنّ هذا هو النموذج الذي ينبغي لهم اتّباعه: **كذلك يجب على الرجال أن يحبّوا نساءهم كأجسادهم.** فيجب عليهم، في تمثّلهم بالمسيح، أن **يحبّوا نساءهم** كما لو كُنّ بالحقيقة **أجسادهم** الخاصّة.

وترد الكلمة "خاصّة" في النصّ اليوناني ستّ مرّات في الآيات ٢٢-٢٣. ويذكّرنا هذا التشديد في استعمال الكلمة "خاصّة" بأنّ التزوّج بامرأة واحدة هو مشيئة الله لشعبه. ومع أنّ الله سمح بتعدّد الزوجات في العهد القديم، فهو لم يؤيّده قطّ.

وممّا يلفت انتباهنا أيضًا الطرق المختلف التي بها يصف بولس العلاقة القويّة التي تربط ما بين الرجل وامرأته. فهو يقول أنّ الرجل بمحبّته لامرأته يكون بالحقيقة يحب جسده الخاصّ (ع٢٨أ)؛ يحبّ نفسه (ع٢٨ب، ٣٣)؛ ويحبّ جسده (ع٢٩). وبما أن الزواج هو اتّحاد حقيقيّ لشخصين، حيث يصير الاثنان جسدًا واحدًا، لذلك فإن الذي **يحبّ امرأته** هو بالحقيقة **يحبّ نفسه**.

**٥: ٢٩** خلق الله الإنسان وفيه غريزةً للاعتناء بجسده الخاص. فهو يقوته ويُلبسه ويغسّله ويحميه من الانزعاج والألم والضرر. وتعتمد استمراريّته في البقاء على هذه العناية. وما هذا الاهتمام المُفرط بالجسد إلاّ ظلّ شاحب لاعتناء **الربّ بالكنيسة**.

**٥: ٣٠ لأنّنا أعضاء جسمه.** إنّ نعمة الله عجيبة حقًّا! فهي لا تخلّصنا فقط من الخطيّة والجحيم، بل تُدمجنا في المسيح كأعضاء في جسمه السرّيّ. ما أوسع المحبّة التي له من نحونا: فهو يعتني بنا كجسده الخاص. فبالنسبة للعناية: هو يغذّينا ويقدّسنا ويدرّبنا. أمّا بالنسبة للحماية، فهو لن يكون في السماء دون أعضائه. نحن متّحدون به في حياة مشتركة، ومهما يحصل للأعضاء يؤثّر في الجسد أيضًا.

**٥: ٣١** يقتبس الرسول الآن من تكوين ٢: ٢٤ الآية التي تُظهر لنا فكرة الله الأصلية من تأسيس العلاقة الزوجيّة. أوّلاً، إنّ ولاء الرجل لامرأته يفوق ولاءه لوالديه، إذ هو أسمى منه. فالرجل يترك والديه ويلتصق بامرأته وذلك ليحقّق الهدف الأسمى في العلاقة الزوجيّة. أمّا العنصر الثاني فهو أنّ الرجل وامرأته يصبحان جسدًا واحدًا إذ يجري اتّحاد حقيقيّ لشخصين. ولو حرصنا على هاتين الحقيقتين الأساسيّتين، لزالت المشاكل مع أهل الزوجين من ناحية وزالت الخلافات الزوجيّة من ناحية أخرى.

**٥: ٣٢ هذا السرّ عظيم ولكنّني أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة.** يصل الرسول الآن إلى ذروة الحديث عن العلاقة الزوجيّة فيعلن هذه الحقيقة المجيدة التي كانت مكتومة قبل الآن، وهي أن **الكنيسة** بالنسبة **للمسيح** هي كما المرأة بالنسبة لرجلها.

عندما يقول الرسول بولس أن **السرّ عظيم** فهو لا يعني أنّه شديد الغموض، لكنّه يعني أنّ مضامين هذه الحقيقة عظيمة جدًّا. فالسرّ هو القصد الإلهي الذي كان مكتومًا في الله في الدهور الماضية، لكنه قد أُعلن الآن. وهذا القصد هو أن يدعو الله من بين الأمم شعبًا ليكون جسدًا وعروسًا لابنه المجيد. وهكذا فإن العلاقة الزوجية تجد ما ترمز إليه بكماله في العلاقة بين **المسيح والكنيسة**.

معك واحدًا جُعلنا روحك، الملءَ لك،
إنّ ذا سرٌّ عظيمٌ أن نكون جسدك!

**٥: ٣٣** هذه الآية الأخيرة هي موجز لما سبق الرسول فقاله للرجال والنساء. فالوصيّة الأخيرة للرجال هي هذه: **أمّا أنتم الأفراد**، ودون استثناء، **فليحب كلّ واحد امرأته هكذا كأنّها نفسه**. وليس فقط كما يمكن أن تحبّ نفسك، لكن بكلّ إدراك لحقيقة كونها واحدًا معك. أما الكلمة الختامية للنساء فهي أنّ **المرأة** يجب أن **تهاب رجلها** باستمرار وتطيعه. ولنتوقّف لحظة ونفكّر! ترى ما كان ليحصل لو أنّ هذه التعاليم الإلهيّة طبّقت من قبل معظم المسيحيّين في أيّامنا الحاضرة؟ والجواب البديهيّ هو أنّه لن يعود هناك خصام وافتراق وطلاق. وسنتذوّق في بيوتنا بشكل أكبر طعم السماء ونحن على الأرض.

**٦: ١** لقد تعلّمنا في الأصحاح الخامس أنّ إحدى نتائج الامتلاء بالروح القدس هي أن نكون خاضعين بعضنا لبعض. ورأينا مثلاً أنّ المرأة الممتلئة بالروح تكون خاضعة لزوجها. والآن نتعلّم أنّ الأولاد المملوئين بالروح القدس يُخضعون أنفسهم لسلطة والديهم. فواجب الأولاد الرئيسيّ هو أن **يطيعوا والديهم في الرب**، بغضّ النظر عن كون الأولاد أو الآباء مؤمنين أو غير مؤمنين. فعلاقة الأولاد بوالديهم مقرّرة من الله للبشرية كلها وليس للمؤمنين وحدهم. أمّا الأمر بأن **يطيعوا... في الربّ** فيعني، أوّلاً، أن يطيعوا وهم يعلمون أنّهم إنّما يطيعون الربّ بهذا العمل؛ فطاعتهم يجب أن تكون كما لو كانت له بالذات. ثانيًا، يجب عليهم أن يطيعوا في كلّ الأمور التي تتوافق مع مشيئة الله. فلو طلب إليهم والدوهم أن يرتكبوا خطيّة ما، يجب عليهم ألاّ يستجيبوا لهذا الطلب. وعليهم في حال كهذه أن يرفضوا بكلّ أدب ويحتملوا النتائج بوداعة ودون انتقام. لكن يجب على الأولاد أن يطيعوا في كلّ الأمور الأخرى.

ويعطينا الرسول أربعة أسباب لضرورة الطاعة. أوّلاً، **إنّ هذا حق**. فالمبدأ الأساسي المُثبّت في صميم بنية الحياة العائلية هو أنّ غير الناضجين والمتهوّرين الذي تنقصهم الخبرة يجب أن يخضعوا لسلطة الأهل الذين هم أكبر منهم وأحكم.

**٦: ٢** والسبب الثاني هو أنّ هذا الأمر كتابي. فالرسول بولس هنا يقتبس خروج ٢٠: ١٢ «**أكرم أباك وأمك**» (أنظر تث٥: ١٦ أيضًا). وهذه الوصيّة في إكرام الأهل هي أوّل وصيّة من الوصايا العشر تحوي وعدًا بالبركة لحافظيها. وهي تدعو الأولاد لاحترام والديهم ومحبّتهم وإطاعتهم.

٦: ٣ أمّا السبب الثالث فهو أنّ الطاعة هي لمصلحة الأولاد العليا: **لكي يكون لكم خير**. فلنفتكر في ما يمكن أن يحدث للولد الذي لا يحصل على التوجيه والتأديب من والديه! سوف يكون تعِسًا في حياته الشخصيّة ولا يُحتَمل اجتماعيًّا.

والسبب الرابع هو أنّ الطاعة تقدِّم للأولاد حياة كاملة: **وتكونوا طوال الأعمار على الأرض**. كان الولد الذي يطيع أبويه في العهد القديم يعيش حياة طويلة. لكنّ في عصر الإنجيل الحاضر فهذه القاعدة ليست خالية من الشواذ. فالطاعة البنويّة ليست دائمًا مربوطة بطول العمر، والابن الطائع قد يموت في عمر مبكر. لكن القاعدة العامة هي أنّ حياة النظام والطاعة تفيد من جهة الصحّة وطول العمر، فيما حياة العصيان واللامبالاة غالبًا ما تنتهي في وقت مبكر.

٦: ٤ إنّ التعليمات المُعطاة للأولاد تقابلها نصائح للآباء. فهؤلاء يجب ألاّ يُغيظوا أولادهم بالطلبات غير المعقولة والقساوة غير المبرَّرة والإزعاج المتواصل؛ لكن يجب بالحريّ أن **يربّوهم بتأديب الرب وإنذاره**. **والتأديب** هو التدريب والتهذيب، وقد يكون ذلك شفويًّا أو جسديًّا. أمّا **الإنذار** فيعني التحذير والتوبيخ والتأنيب. هذا ويجب أن تكون تربية الأولاد «**في الربّ**»، أي بحسب ما يتوافق مع مشيئته المُعلنة في الكتاب المقدس وبواسطة مَن يعمل كممثِّل له في العائلة. لقد كتبت سُوسنّه وسلي *Susannah Wesley* التي هي أمّ لسبعة عشر ولدًا، ووالدة جون وتشارلز وسلي تقول:

> إنّ الأهل الذين يسعون لإخضاع الإرادة الذاتية في أطفالهم، يعملون مع الله على تجديد نفس وتخليصها. أمّا الأهل الذين يتساهلون معها، فهم يعملون عمل الشرّير ويجعلون الديانة غير عملية والخلاص صعب المنال، وهم يفعلون كلّ ما من شأنه أن يهلك ولدهم نفسًا وجسدًا إلى الأبد.

٦: ٥ النطاق الثالث والأخير للخضوع في البيت المسيحي هو الذي يختصّ بالخدّام لسادتهم. ويستخدم بولس هنا الكلمة **عبيد**، أمّا المبدأ فينطبق على كلّ الخدّام والموظفين من أي نوع كانوا.

وأوّل واجبات المستخدَمين هي طاعة **سادتهم حسب الجسد**. وتذكّرنا هذه العبارة، **سادة حسب الجسد**، بأنّ المستخدِم لديه حقوق في ما يتعلّق بالعمل الجسديّ والذهنيّ، لكنّه لا يستطيع إملاء رأيه في الأمور الروحيّة والمسائل الضميريّة.

ثانيًا، يجب على الخدّام أن يكنّوا الاحترام لسادتهم. هذا ولا تشير الكلمتان **خوف ورعدة** إلى الاستسلام الخانع والإرهاب المذلّ؛ بل تعنيان الاحترام الواجب والخوف من إغضاب الربّ والمستخدِم.

ثالثًا، يجب أن تكون الخدمة بمقتضى الضمير أو في **بساطة القلب**. فعلينا أن نعطي ستين دقيقة عمل مقابل كلّ ساعة نستوفي أجرتها.

ثم يجب أن يكون عملنا **كما للمسيح**. وترينا هذه العبارة أنّه يجب ألاّ نفرّق بين الشغل الدنيوي والخدمة الروحيّة. وكلّ ما نعمله إنّما يجب أن نفعله لأجل الربّ ونحن نبغي رضاه وتمجيده واجتذاب الآخرين إليه. فأشدّ الأعمال حقارة وأكثرها بساطة في الحياة تغدو نبيلة وجليلة عندما نفعلها لمجد الله ـ حتّى غسل الصحون! لذلك تضع بعض الزوجات المؤمنات الشعار التالي فوق حوض المطبخ: "هنا يُخدَم الربّ ثلاث مرّات في اليوم".

**٦:٦ يجب أن نجتهد دائمًا في الشغل ليس فقط عندما يكون ربّ العمل ناظرًا، بل لأنّنا نعلم أنّ سيّدنا ينظر باستمرار.** فالميل الطبيعي هو للإبطاء في العمل عندما يكون المستخدم غائبًا؛ لكنّ هذا نوع من عدم الأمانة. فالمقاييس المسيحيّة للعمل يجب ألاّ تتغيّر عند ابتعاد ربّ العمل. ألخّ أحد الزُّبن على أحد الباعة المسيحيّين أن يعطيه أكثر ممّا دفع ثمنه، مؤكّدًا له أنّ سيّده لا ينظر إليه. فأجاب البائع قائلاً، "سيّدي دائمًا ينظر!". يجب علينا كخدّام المسيح أن **نعمل مشيئة الله من القلب**، أي بنيّة صادقة لأن نرضيه. ويقول إردمان *Erdman* في هذا المجال:

> يغدو العمل ذا قيمة عظيمة عندما تتحكّم به معطيات كهذه. ويسمو عمل أشدّ العبيد تواضعًا عندما يؤدّيه بشكل يرضي فيه المسيح وبنيّة طيّبة كهذه واستعداد قلبيّ وغيرة تحظى برضى الربّ.

**٦:٧ ثمّ يجب أن نخدم بنيّة صالحة.** أي ليس باستعداد خارجي للمطاوعة في حين أن الداخل يتأجج غيظًا، بل بكل فرح وإخلاص. فإن عملنا يجب أن يُعمل كما للرب وليس للناس، ولو كان رب العمل غير عادل وقاسيًا ومستبدًا. إن هذا النوع من التصرف هو شهادة واضحة للمسيح في مثل هذا العالم الذي نحيا فيه.

**٦:٨ أمّا التيقن بأن الربّ سيكافئ كلّ عمل صالح** كهذا فهو دافع عظيم لعمل كلّ شيء كما للمسيح. ولا فرق سواء كان الإنسان **عبدًا أم حرًا**. فالربّ يلاحظ كل الأشغال، المُرضية وغير المرضية، التي تُعمل له، وسيكافئ كلّ عامل بحسب أمانته.

لا غنى لنا قبل ترك هذا الجزء المختصّ بالعبيد عن ذكر التعليقات التالية:

١- إنّ العهد الجديد لا يدين العبوديّة (بمعنى استخدام العبيد) بحدّ ذاتها. وهو في الواقع يُشبّه المؤمن الحقيقي بعبد للمسيح (ع٦). لكنّ مساوئ استخدام العبيد قد تلاشت حيثما وصل الإنجيل. والفضل في ذلك يرجع للإصلاح الأخلاقي بالدرجة الأولى.

٢- يتكلّم العهد الجديد عمّا يختصّ بالعبيد أكثر من كلامه عما يختصّ بالملوك. وقد يعكس هذا الأمر الحقيقة القائلة بأنّه ليس كثيرون من المدعوين حكماء أو أقوياء أو شرفاء (١كو١: ٢٦). فإنّنا على الأرجح نجد أنّ غالبيّة المسيحيّين هم من الطبقات الاجتماعيّة والاقتصاديّة الدُنيا. ويُظهر التشديد على العبيد أنّ أحقر الخدّام ليسوا مُستثنين من أرفع البركات المسيحيّة.

٣- تظهر فعّاليّة هذه التعليمات بشأن العبيد في أنّ الأيّام الأولى للمسيحيّة شهدت ارتفاعًا في أسعار العبيد المسيحيين بالمقارنة مع العبيد الوثنيّين. أمّا في يومنا الحاضر، فيجب أن يكون صحيحًا أنّ أرباب العمل يُقدّرون الموظّفين المسيحيّين أكثر من رفقائهم الذين لم تلمسهم نعمة الله بعد.

**٦:٩ أمّا السادة فيجب أن ينقادوا بالمبادئ العامّة نفسها** التي للخدّام. فعليهم أن يكونوا عادلين ولطفاء وشرفاء. يجب أن يحرص السادة أيضًا على عدم اللجوء إلى لغة **التهديد** والعنف مع خدّامهم. وإذا مارسوا ضبط النفس في هذا المجال فلن يضطرّوا على استخدام العنف الجسدي مع الخدّام أبدًا. وعليهم أن يتذكّروا باستمرار أنّ لديهم أيضًا **سيّدًا في السماء** وهو نفسه سيّد العبيد أيضًا. ففي محضر الربّ تستوي الفروقات الأرضيّة؛ ويومًا ما سيعطي السيّد والخادم حسابًا لربّ الجميع.

### هـ. تحريضات تتعلق بالحرب الروحيّة المسيحيّة (٦: ١٠-٢٠)

**٦: ١٠** يصل بولس هنا إلى ختام رسالته. وهو يناشد بحرارة كلّ فرد من أفراد عائلة الله مخاطبًا إيّاهم بوصفهم جنودًا للمسيح. فكلّ ولد من أولاد الله الحقيقيين سيكتشف عاجلاً أنّ الحياة المسيحية هي حربٌ حقيقيّة. فأجناد الشيطان مصمّمة على إعاقة عمل المسيح وإيقافه، كما تعمل على ضرب كل جندي بمفرده لإخراجه من المعركة المحتدمة. لذلك كلّما كان المؤمن فعّالاً في عمله للرب ازدادت هجمات العدوّ شراسة عليه: فالشرّير لا يضيّع ذخيرته على المسيحيين الاسميّين. هذا، ولا نقدر أبدًا على مواجهة الشرّير بقوتنا الذاتيّة. لذلك فالأمر الاستعداد الأوّل لنا هو أن **نتقوّى في الربّ وفي ذخيرة قوّته** التي لا تنفد. أمّا أفضل جنود الله فهم الذين يدركون تمامًا ضعفهم الذاتي وعدم فعّاليّتهم فيتّكلون بالكامل عليه. «اختار الله ضعفاء العالم ليخزي الأقوياء» (١كو١: ٢٧ب). وهكذا يستودع ضعفنا نفسه **لشدّة قوّته**.

**٦: ١١** يعالج الرسول في طلبه الثاني الحاجة إلى السلاح الإلهي. فعلى المؤمن أن يلبس **سلاح الله الكامل** ليقدر أن يثبت **ضدّ مكايد إبليس**. ومن الضروري لنا أن نتسلّح بشكل كامل؛ فلا يكفي أن نحمل قطعة واحدة أو اثنتين. لا يمكن لأيّ شيء أن يحفظنا محصّنين ما لم يكن اللباس العسكري الكامل الذي يوفّره لنا الله. فالشرير يستخدم في حربه أساليب متنوّعة: التفشيل، تثبيط العزيمة، التشويش، الانحراف الخُلقي، والضلال التعليمي. وهو يعرف أضعف نقطة عندنا ويوجّه ضرباته عليها. وعندما لا يقدر على تعطيلنا بطريقة ما، يلجأ لطريقة أخرى.

**٦: ١٢** أمّا هذه الحرب فليست صراعًا مع الفلاسفة الأشرار أو الكهنة الملتوين وأصحاب البدع التي تنكر المسيح أو الحكّام المقاومين للإيمان؛ فالمعركة هي ضدّ القوّات الشيطانيّة، ضدّ أجناد الملائكة السّاقطة وضد الأرواح الشريرة التي تستخدم قوّة هائلة. إنّنا محاطون باستمرار بأرواح شريرة مع أنّنا لا نستطيع رؤيتها. وهي تستطيع أن تزعج وتضايق المؤمن الحقيقي مع أنّها لا تقدر أن تسكُنه. هذا ويجب ألاّ ينشغل المسيحي بما يختصّ بالشياطين إلى حدٍّ يولّد السّقم. ففي سلاح الله يحصل المؤمن على كلّ ما يحتاج إليه للثبات في وجه الهجمات الشريرة. ويذكّر الرسول بولس بأنّ هذه الملائكة الساقطة هي **الرياسات والسلاطين، وولاة العالم على ظلمة هذا الدهر وأجناد الشرّ الروحيّة في السماويّات**. هذا ولسنا نعرف ما فيه الكفاية للتمييز بين هذه الفئات؛ ولربّما كانت هذه إشارة إلى الرياسات الروحيّة بمختلف درجات السلطة التي لها، كالرئيس والحاكم ورئيس البلديّة على الصعيد البشري.

**٦: ١٣** على الأرجح أنّ بولس كان يحرسه جندي روماني بكامل سلاحه فيما كان يكتب هذه الرسالة. وها هو كعادته يرى الدرس الروحيّ في الحقائق الطبيعيّة ويعطي التطبيقات العمليّة: إنّ العدوّ الذي يهاجمنا شرس جدًّا؛ لذلك علينا أن **نحمل سلاح الله الكامل لكي نقدر أن نثبت** عندما يصل الصراع إلى أشدّ مراحله ضراوة، وأن نبقى صامدين عندما يتلاشى غبار المعركة في الفضاء. أما **اليوم الشرّير** فيعني على الأرجح أيّ وقت فيه يأتي الشرير علينا كسيل. فالظاهر أنّ الهجمات الشرّيرة تأتي علينا كأمواج

تتقدّم ثمّ تتراجع. وهكذا بعدما جُرِّب الربّ يسوع في البريّة فارقه الشرير إلى حين (لو٤: ١٣).

**٦: ١٤** أوّل قطعة سلاح يذكرها لنا الرسول هي حزام **الحقّ**. فمن المؤكّد أنّه يجب أن نكون أمناء في التمسّك **بحقّ** كلمة الله، لكنّه من الضروري لنا أيضًا أن ندع **الحقّ** يُمسك بنا؛ لذلك يجب أن نطبّقه في حياتنا اليوميّة. ولسوف نجد القوّة والحماية في المعركة إذا ما امتحنّا كلّ شيء بواسطة **الحقّ** الإلهي.

أمّا القطعة الثانية فهي **درع البرّ**. ومع أنّ الله يُلبس كلّ مؤمن برّه تعالى (٢كو٥: ٢١) فعلينا أيضًا أن نُظهِر الاستقامة والصلاح في حياتنا الفرديّة. وقد قال أحدهم: "عندما يكتسي الإنسان برداء البرّ العملي يغدو حصنًا منيعًا. فالكلام وحده لا يكفي للدفاع في وجه الاتّهامات، لكنّ الحياة الصالحة تكفي". إذا كان ضميرنا خاليًا من الذنب تجاه الله والناس فلن يكون عند الشرّير شيء يطلق عليه السهام. لقد وضع داود درع البرّ في المزمور ٧: ٣-٥. أمّا الربّ يسوع فكان يلبسه كلّ حين (إش٥٩: ١٧).

**٦: ١٥** يجب على الجندي أن **يحذوَ رجليه باستعداد إنجيل السلام**. وهذا يفترض أن يكون المؤمن مستعدًّا لحمل الأخبار السارّة، أخبار **السلام** للآخرين، وهكذا يخترق أرض العدوّ. فعندما نسترخي مستريحين في خيامنا، نصبح في خطر مُميت. فالأمان الوحيد نجده إذ نتّبع آثار قدمي المخلّص الجميلتين على الجبال وهي تحمل الأخبار الطيّبة وتبشّر بالسلام (إش٥٢: ٧؛ رو١٠: ١٥).

**٦: ١٦** علاوة على هذا، يجب على الجندي أن يحمل **درع الإيمان** حتى عندما تصوّب **سهام الشرير الملتهبة** إليه تصطدم بالدرع وتسقط إلى الأرض دون إحداث أيّ ضرر. **والإيمان** هو الثقة الثابتة بشخص الربّ وبكلمته المباركة. فعندما تلتهب التجارب وتتهافت الشكوك وتكون السفينة في خطر الانكسار يتطلّع الإيمان إلى فوق ويقول: "إنّي أُومن بالله".

**٦: ١٧** أما **الخوذة** التي يمنحها الله للمؤمن فهي **الخلاص** (إش٥٩: ١٧). ومهما كانت الحرب قاسية والمعركة حامية فالمسيحي لا يرهب ولا يفقد شجاعته لأنه يعلم أنّ النصرة في النهاية مؤكّدة له. لذلك فإنّ الضمان بالخلاص النهائي يحفظنا من التراجع والاستسلام. «إن كان الله معنا فمن علينا؟» (رو٨: ٣١).

أخيرًا، يحمل الجندي **سيف الروح** الذي هو **كلمة الله**. أمّا الإيضاح المأثور الذي يذكر في هذا المجال فهو استخدام الربّ يسوع هذا **السيف** في لقائه مع الشيطان. فقد استشهد بكلمة الله ثلاث مرات، ولم يفعل ذلك بشكل عشوائي، بل اختار الآيات الملائمة التي أعطاه إيّاها الروح القدس في ذلك الظرف (لو٤: ١-١٣). ولا تعني **كلمة الله** هنا كلّ الكتاب المقدّس بل الجزء الخاص من الكتاب الذي يتناسب مع الظرف الذي نمرّ فيه.

يقول ديفيد واطسون *David Watson* في هذا المجال:

> إنّ الله يمنحنا كلّ الحماية التي نحتاج إليها. هكذا علينا أن نحرص على أن تكون «منطقة الحقّ» موجودة في سلوكنا مع الربّ، وأن يكون البرّ ظاهرًا في حياتنا سواء أكان أمام الله أم أمام الآخرين، وأن نسعى لصنع السلام أينما حللنا،

وأن نحمل درع الإيمان لنطفئ سهام الشرير الملتهبة، وأن نحمي أذهاننا من الخوف والقلق اللذين يهاجمانا بكلّ سهولة، وأن نستخدم كلمة الله في مكانها الصحيح بقوة الروح القدس. ولنتذكّر أنّ الرب يسوع إنّما انتصر على العدوّ في البريّة بواسطة طعنات سيف كلمة الله المتكرّرة.

**٦: ١٨ لا يذكر الرسول الصلاة على أنّها جزء من السلاح؛** لكنّنا لا نبالغ في أهميتها إذا قلنا إنّها الجوّ الذي فيه يجب أن يعيش الجندي ويتنفّس. إنّها الروح التي فيها يجب أن يُحمَل السلاح ويُواجَه العدوّ. ويجب أن تكون الصلاة مستمرّة غير متقطّعة؛ وأن تكون عادة وليس حدثًا منفردًا. ويجب أيضًا أن يستخدم الجندي كلّ أنواع **الصلاة**: الفرديّة مع الجماعيّة، الدوريّة مع العفويّة، التضرعات مع التشفّعات؛ الاعترافات مع التذلّلات؛ والتسابيح مع التشكّرات.

كما يجب أن تكون **الصلاة في الروح**، أي بإرشاد الروح القدس وقيادته. فإنّ الصلوات الشكليّة التي تُتلى روتينيًّا لا قيمة لها في صراعنا مع أجناد الجحيم. فيجب أن تكون هناك حرارة في **الصلاة**: **ساهرين لهذا بعينه**. وعلينا أن نحترس من النعاس وتشتّت الفكر والانشغال بأشياء أخرى، لأنّ الصلاة تتطلّب صحوًا روحيًّا وانتباهًا وتركيزًا. كما تتطلّب أيضًا مواظبة؛ فيجب أن نستمر في السؤال والطلب والقرع (لو ١١: ٩). وينبغي أن تقام **الطلبات** من أجل جميع القديسين. فهم مشتركون في الصراع أيضًا ويحتاجون بالتالي لدعم إخوتهم الجنود **بالصلاة**.

**٦: ١٩ يعلّق بلايكي** *Blaikie* **على طلب بولس للصلاة من أجل نفسه فيقول:**

> لاحظوا الفكرة غير الكهنوتيّة هنا! فبولس الرسول لا يملك مخزنًا من النعمة يفيض به على جميع مؤمني أفسس، بل إنّه يحتاج إلى صلواتهم حتى تُعطى له النعمة اللازمة من ذلك المخزن الحيّ الوحيد.

ومع أنّ بولس كان يكتب من السجن فهو لم يطلب الصلاة من أجل الإفراج المبكر عنه. لكنّه طلب أن يُعطى له **كلام عند افتتاح فمه لكي يُعلن سرّ** الإنجيل. وهذه هي المرّة الأخيرة التي يذكر فيها بولس **السرّ** في رسالة أفسس. لكنّه يظهر هنا باعتباره سبب قيود بولس؛ ومع هذا فليس عنده أيّ ندم بشأنه، بل على العكس، فهو يريد أن يخبر به أكثر فأكثر.

**٦: ٢٠ يُعطَى السفراء عادةً حصانة دبلوماسية تحفظهم** من التوقيف والسجن. لكن الناس يتساهلون تقريبًا مع كلّ الأشياء أكثر ممّا يتساهلون مع الإنجيل. فما من موضوع آخر مثل الإنجيل يُضرِم مشاعر حاقدة، وينشيء مقاومة ضارية، ويثير اضطهادًا مريرًا، على هذا النحو. وهكذا فإن **سفير** المسيح كان موثقًا **في سلاسل**. ويقول إيدي *Eadie* معلّقًا:

> إنّه موفد رسمي من قِبَل أعظم سلطة، مكلّفٌ بسفارةٍ لا مثيل لسموّها وأهميتها، ويحمل معه أوراق اعتماد لا يمكن أن تخطئ في صحّتها، وها هو محجوز في الأسر.

أمّا الجزء الخاص من رسالة بولس الذي أثار مقاومة المتديّنين المتعصّبين له فكان إعلانه أنّ المؤمنين من اليهود والأمم معًا يشكّلون الآن مجتمعًا واحدًا ويتساوون في الامتيازات ويعترفون بالمسيح رأسًا لهم جميعًا.

### و. تحيّات بولس الشخصيّة الختاميّة (٦: ٢١-٢٤)

**٦: ٢١، ٢٢** كان الرسول بولس مزمعًا أن يرسل تيخيكس من روما إلى أفسس ليعرّف القديسين هناك بأحواله. لذلك فهو يوصي بتيخيكس واصفًا إيّاه **بالأخ الحبيب والخادم الأمين في الربّ**. ويُذكر اسم تيخيكس خمس مرّات فقط في العهد الجديد. وقد كان أحد مرافقي بولس في السفر من اليونان إلى آسيا (أع ٢٠: ٤). وكان الرسول قد أرسله إلى المسيحيّين في كولوسي (كو ٤: ٧)؛ وإلى المؤمنين في أفسس (راجع ٦: ٢١ مع ٢تي٤: ١٢)، وعلى الأرجح إلى تيطس في كريت (تي٣: ١٢). أمّا مهمّته المزدوجة في هذا الوقت فكانت لإعلام الأفسسيّين بأحوال بولس الجيّدة في السجن، ولتشجيع قلوبهم أيضًا وتبديد المخاوف غير اللازمة.

**٦: ٢٣** نجد في الآيات الختاميّة تحيّة بولس الخاصّة: **النعمة والسلام**. فهو إذ يمزج الكلمتين يتمنّى لقرّائه البركات الروحيّة جميعها. وهو إذ يمزج الكلمتين المختصّتين باليهود والأمم قد يكون يشير إلى سرّ الإنجيل بشكل ضمنيّ، إذ صار اليهود والأمم واحدًا في المسيح. ويتمنّي الرسول في الآية ٢٣ لقرّائه **السلام والمحبّة مع الإيمان**. فالسلام يحمي قلوبهم في كلّ ظروف الحياة. والمحبّة تمكّنهم من أن يعبدوا الله ويعملوا أحدهم مع الآخر. أمّا الإيمان فيقدّرهم على البطولات في الحرب الروحيّة المسيحيّة. وتأتي كلّ هذه البركات من الله الآب والربّ يسوع المسيح، وهذه حقيقة مستحيلة ما لم يكونا متساويين.

**٦: ٢٤** يتمنّى الرسول الحبيب أخيرًا النعمة **لكل الذين يحبون ربنا يسوع المسيح**، محبّة خالصة غير فاسدة. إنّ المحبّة المسيحيّة الحقيقيّة تنطوي على صفة الاستمراريّة: فشعلتها قد ترتعش أو تخبو أحيانًا لكنّها لا تنطفئ أبدًا.

لقد أطلق السجن الروماني نزيله منذ زمن بعيد. فالرسول العظيم حصل على مكافأته ورأى وجه محبوبه. لكن الرسالة ما زالت معنا، وهي ما تزال حيّة ومنعشة كما في اليوم الذي أتت فيه من قلبه وقلمه. وما تزال تعطينا، في القرن الحادي والعشرين، كلمات التعليم والوحي والتوبيخ والتشجيع.

أخيرًا ونحن ننهي رسالة أفسس لا يسعنا إلاّ أن نوافق قلبيًّا على كلمات ويببيلو *H.W. Webb-Peploe* التاليّة:

> ربّما لا نجد في كتاب الله كتابةً بهذا المقدار من الجلال والعظمة: ولذلك كم يستحيل على أيّ إنسان، حتى لو كان مُرسَلاً من الله نفسه، أن يفي الرسالة حقّها في هذا المجال الضيق المُتاح لنا! أتمنّى لو أنّنا نُقبِل عليها ونحن نطلب التعاليم المختصّة بالقداسة، التعاليم التي يمكننا بها أن نذهب لنحيا حياة أنبل وأسمى من السابق ويمكننا بها أيضًا أن نمجّد الله بشكلٍ أكبر.